مسرحيات
مختارة



من الوجودية إلى العبث

مسرحيتان ودراستان

لا مفـــــــر

للكاتب الوجودي: چان پول سارتر

الأيام السعيدة

للكاتب العبثي صمويل بيكيت

ترجمة وتقديم: جلال العشرى

مراجعة: د. أمين العيوطى



الهيئة المصرية العامة للكتاب

مسرحيات مختارة

من الوجودية إلى العبث

مسرحيتان ودراستان

لا مفـــــــــــر

للكاتب الوجودى : چان پول سارتر

الأيــام السعيدة

للكاتب العبثى صمويل بيكيت

ترجمة وتقديم : جلال العشرى

مراجعة : د. أمين العيوط

لا مفـــــــر

للكاتب الوجودي: چان پول سارتر

هذا الكاتب الوجودى ..
وهذه المسرحية المواقفية !

« بنفس الحجارة نستطيع أن نبني للحرية قبرا ، ونستطيع ان نشيد لها معبدا ·

ان نعم هي الحلم ، ولا هي اليقظة ·· وقد آن لنا ان نعرف ، هل نريد ان نستيقظ او نتام »

جان بول سارتر

● عندما يتحدى الانسان انسانا مثله ، فهو الآخر انسان ، فاذا تحدى اله ، فهو أكثر من انسان ، انه بطل .. بطل لانه استطاع أن يعلو على نفسه وعلى الآخرين ، وبطل لانه استطاع أن يتخذ لنفسه موقفا ،

وهو بطل وجودى لأن وجوده رهن بهذا الموقف ، وهــو بطل درامى ، لانه يصارع قوة أكبر منه .. لا القدر الذى كان يصارعه البطــل الاغــريقى ، ولا الطبيعة التى كان يصارعها بطل عصر النهضـــة ، ولا المجتمع الذى كان يصارعه بطل العصر الحديث ، بل الآلهة .. كائنة ماكانت هذه الآلهة .

وهو يصارعها بقوة وبلا حياء ، لانه يعلم جيدا أنها من فصيلة غــير فصيلته ، وماكان كــذلك فهو طــارىء ودخيل ، هو أجنبى وغريب ، هو ليس منــا ولابد أن ينفصل عنا فى وقت قريب أو بعيد .. فعالم الانسان من صنعه . ومالايضاف الى الانسان ، فهو غير موجود على الأقل بالنسبة الى الانسان !

ومثل هذا الموقف الذى اتخــــذه سارتر ، ماكان يمكن أن يقع الا بفضل الحرية الانسانية ، ومن اجـــل الحرية الانسانية ، فعند سارتر أن الحرية هى اغلى قيمة فى حياة الانسان ، أن لم تكن هى وحياته شىء واحد، أو هما وجهان لشىء واحد ، فالانسان قد ترك لنفســه ، ووجوده قد أودع بين يديه ، وماحريته سوى تلك القدرة الذاتية على تكوين نفسه ، واختيار أسلوبه فى الحياة .

من هنا كان الانســان فى صميمه حــــرية ، وكان وجوده هو عين حريته ، ومن هنا كان الانسان محكوما عليه بالحرية ، وكانت حريته هى الشىء الوحيــد الذى ليست له الحرية فى أن يتخلى عنه .

وسارتر هنا وهناك ، انما يتخذ من القضية التى اثارها دستويفسكى قاعدة لاطلاق هذه الاقوال الصاروخية ، وهى القضية القائلة بأنه اذا انتفى وجود الآلهة أصبح كل شيء جائزا ، والتى أضاف اليها سارتر قوله انه حتى اذا كانت الآلهة موجودة ، فلن تغير من أمر الانسان شيئا .

وتلك ثورة فى عالم الفلسفة ، ثورة لاتقل فى تملصها وخطر نتائجها عن تلك الثورة التى أحدثها ماركس فى علم الاقتصاد، وفرويد فى علم النفس، ودارون فى علم الحياة . لانه بظهور سارتر على مسرح الفلسفة لم يعد لمشكلة معرفة هل الاله موجودا أو غير موجود اية أهمية على الاطلاق ، مهما كان حل هذه المشكلة ، المهم أن يكون الانسان حرا ، والا يصدر فى أفعاله الا عن الحرية . ومادام الانسان يصنع قدره بيده ، وبيده يشكل مستقبله بل ويشكل ماضيه ، فهو عندما يحس وعندما يفكروعندما يريد لايصدر عن قيمة من القيم التقليدية ، ولايتلقى عن اله دين من الاديان ، لانه قد تحرر تحررا كاملا من سلطان كل قيمة مهما كان مصدرها، ولأنه بمحض حريته قد خلق لنفسه قيما أخرى جديدة .

ومن ثم فالانسان فى الوقت الذى يكون فيه حرا كل هذه الحرية ، يكون مسئولا مسئولية لاتقل عمايتمتع به من حرية ، فعلى قدر ماتكون الحرية تكون المسئولية، لان الانسان عندما يفعل لايفعل لنفسه فحسب ، وانما

هو يشرع للانسانية كلها ، ويشعر فى الوقت نفسه بأنه مسئول مسئولية كلية شاملة ، وهذا هو معنى قول سارتر :

« اننى مسئول عن كل شيء ، ومسئوليتى تمتد حتى الى تلك الحرب التى اشتركت فيها كما لو كنت أنا الذى أعلنتها » .

وعلى ذلك ، فان زعيم الوجودية المعاصرة عندما يقول ان الانسان مسئول عن نفسه ، لايعنى أنه مسئول عن فرديته فحسب ، وانما يعنى انه مسئول عن الناس جميعا ، بمعنى ان كلا منا كما يقول عنوان رواية سيمون دى بوفوار مسئول عن «دم الآخرين» !

وماكادت هذه الفلسفة تطفو على سطح الفكر الاوروبى حتى توالت عليها الهجمات من كل جانب ، هاجمتها المنظمات الفكرية ، كما هاجمها الافراد الذين لاينتمون الى تنظيم فكرى بعينه أو الى جهاز ثقافى بالذات . وربما كانت أعنف الهجمات التى وجهت الى الوجودية ، تلك التى وجهها الماركسيون فعند هؤلاء ان الوجودية تحصر الانسان فى وجوده الفردى فتعزله عن العالم وتبعده عن التضامن البشرى .. الا أن الوجودية باطلاقها من الذاتية الخالصة أو من الكوجيتو الديكارتى « أنا أفكر » تجعل الانسان يدور حول ذاته ، ويظل يدور دون أن يخرج من ذاته ليلتقى بالآخرين .. ومن ثم فالوجودية فى رأى الماركسيين فلسفة تأملية

خالصة . فلسفة تعبر عن الترفا لبورجوازى الرخيص، والفردية الرجعية التى تتنافى مع النظـام الجـديد فى العالم .

أما المسيحيون فيرون أن الوجودية فلسفة يأس وتشاؤم ، أو فلسفة حصر وقنوط ، لانهـا بتجـريدها الانسان من كل أمل فى الحياة ومن كل قاعدة للعمل . وباستخفافها بكل قيمة أبدية خالدة ، وبتشديدها على كل ماهو قذر ودنىء فى حياة الانسان ، بهذا كله وبكثير غيره ، تجعل الوجودية من العمل شيئا مستحيلا بالنسبة الى الانسان الذى يركن الى حال من الهدوء الحزين . . فيه يمارس الكسل ويستعذبه ، وفيه يظل يتسكع على حائط الوجود والزمن .

والحقيقة أن كلا من الماركسى والمسيحى لايستطيع احتمال ماتؤكده الوجودية من حرية كاملة أو حـرية خالصة ، لان كلا منهما اعتاد أن تكون له عقيـدة دينية أو ثورية ، عقيدة يستوحيها من الكنيسة أو يتلقاها من الحزب ، عقيدة تنظم له مستقبله كما نظمت له ماضيه ؛ عقيدة تكون بالنسبة له «كالشماعة» التى يعلق عليهـا مخاوفه وهمومه فتريحه من عناء التفكير . أما الوجودية، تلك الفلسفة الكريهة المزعجة ، فانها تخدش حياء الكون وتعرى الحياة من كل معنى، وهى فلسفة لايطيقها الانسان المنتظم ، الانسان المتهذب ، الانسان الواقف فى الصف لانها تعطيه حرية الاختيار ، وتحمله تبعة اختيـاره ،

فتكون افعاله بمثابة قرارات ليس لهـا ضـــمان دينى ولا رصيد اجتماعي .

ومع هذا فربما كان ابلغ دفاع عن الوجـودية هـو هذا الدفاع الذى يأتيها من الخارج لا من الداخل ، أعنى من الظروف البيئية والتاريخية التى اســتدعت قيام هذه الفلسفة ، ففى الحرب العالمية الثانية عندما احتل الالمان فرنسا وأسقطوا باريس وأذاقوا الشعب الفرنسى ألوان الاهانة وصنوف الاذلال ، كان لابد لجماعة المثقفين باعتبارهم الناس الذين لهم ريادة التنوير والتحـرير ، والذين لهم فى الحياة آمال جديدة واسباب جديدة ،كان لابد لهم أن يصدروا قرارا وأن يتخــذوا موقفاً ، والا صارت حكمتهم جنونا ، وثقافتهم ثرثرة ، وأقوالهم لغطا وهراء ، وبالفعل أجمعت الطلائع الثقافية الرائدة على مقاومة العدو .. مقاومته بالكلمة والسلاح .. ومقاومته حتى آخر قطرة من دمائهم ، وآخر فكرة فى رؤوسهم ، واشترك سارتر فى الكفاح فأسهم فى قيادة المعركة بشجاعة وذكاء نادرين .

وكان لهذا الموقف البطولى الرائـع فى الدفاع عن الحرية وعن القيمة الانسانية ، وفى الحملة على النازية وعلى القوى الغاشمة ، وفى الارتباط بقضايا العصر ووخز الضمير العالمى ، **كان لهذا الموقف السارترى الباســل اكبر الاثر فى تحرير باريس وفى ظهور الفلسفة الوجودية** ... فالوجودية فلسفة أزمة وموقف ، فلســفة عمـل

ونضال ، فلسفة تمثلت فيها اهم قضايا العصر فى أبعاده النفسية الباطنة ، واتجاهاته الانسانية العامة ، كما انها فلسفة استطاعت ان تحرر باريس ، وأن تهيب بالعالم كله خارج فرنسا ان يواصل انتصاره من أجل تحرير الانسان :

« ايتها العصور ! هذا عصرى معزولا مشوها ،وهو المتهم امامكم ، ان موكلى يبقر بطنه بيديه ، وهذا الذى تحسبونه عصارة حيوية بيضاء ، ليس سوى دم خلا من الكريات الحمراء ، اذ المتهم يموت ، ولكنى أفضى اليكم بسر ما بجسده من خروق كثيرة .. كان يمكن أن يكون العصر طيبا لو أن الانسان لم يتربص به عدوه القاسى اللدود ، عدوه الضارى الذى ينصب له الفخاخ ، الحيوان الخبيث الذى لا شعر على جسده : الا وهو الانسان !» .

وقد بدا العصر يشعر بمحنة ازمة الضمير ، ويردد كلمات سارتر ، ويؤكد ان التحرر من المسئولية لايكفى له ان يشعر القرن العشرون بالخزى أمام المأساة الانسانية الكبرى ، ولكن ذلك هو اقصى مايستطاع تسجيله للعصر من تقدم يفوق به سابقيه من العصور ، وهو فى ذات الوقت غاية مايستطيعه الشرفاء من ابنائه ممن لم يتجردوا من آثامه رغم كل شىء ، واذا كان سارتر قد وصف أزمة الضمير العالمى من خلال موقف اقرب الى اليأس منه الى الرجاء ، فعنده أن الوعى الصادق بالموقف حتى فى احلك

حالاته وأبشعها شرا ، هو أولى خطوات التحكم فيه ، وبالتالى الخلاص منه ، اسمعه يقول على لسان احد ابطاله :

« أجيبى اذن أيتها الاجيال ؟ القرن الثلاثون لايجيب ، ربما لاتوجد قرون بعد قروننا ، وربما تطفأ قذيفة الأضواء فيموت الجميع ، فلا عيون ولا قضاة ولا زمن ، ظلام . فيامحكمة الظلام ؟ انت التى كنت وتكونين وستكونين ، أنا قد كنت .. قد كنت .. أنا «فرانتز فون جر لاش» كنت هنا فى هذه الغرفة ، واخذت على عاتقى تبعة العصر ، وقلت : انا الذى سيدافع عنه حتى الرمق الاخير ! » .

ولما كانت الفلسفة الوجودية فلسفة مواقف ، كان لابد للادب الوجودى أن يكون هو الآخر ادب مواقف ، ومصطلح «الموقف» من اكثر المصطلحات الفلسفية شيوعا فى العصر الحديث ، والفضل فى شيوعه راجع الى كتاب سارتر المسمى «مواقف» !

يقول سارتر فى نهاية الجزء الثانى من هذا الكتاب : « الابطال حريات أخذت فى الفخ ، مثلنا جميعا ، فما المخرج ؟ ان كل شخصية لن تكون سوى اختيار مخرج ، ولن تساوى اكثر من المخرج الذى تختار ، ونتمنى أن يصير المسرح كله خلقيا وجدليا مثل هذا المسرح الجديد اى يصير أدب اخلاق لا ادب مواعظ» .

والموقف هو علاقة الانسان بمكونات الاطار الذى

يعيش فيه ، وبالناس والاشياء ، فهـؤلاء جميعا أجانب بالنسـبة الى الانسان ، ومن ثم فهم عـوائق فى سـبيل تحقيق حريته ، عوائق لابد له أن يقـاومها حتى يتمكن من ترجمة هذهالحرية الى اقوال وافعال. وفى هذهالمقاومة يولد الصراع ، وفى الصراع تتاح الفرصة أمام الانسان لكى يوجد . ولكى يعلن عن وجوده . فالانسان بوجوده فى حالة ما ، وبتجاوزه هذه الحالة ، يحقق وجوده ، لان الوجود الانســانى المشروع ، الوجود الانســانى على الحقيقة . الوجود الانسانى وكفى ، ما هو الا وجود فى موقف ، وجود يحس بماهيته ، ويلتزم بهـا أمام الناس والاشياء جميعا !

والالتزام بالموقف او فى الموقف يستتبع ادراك قيم انسانية جديدة ، وأسباب انسانية جديدة ، لانه من خلال هذا الادراك يعلو الانسان على موقفه ، ويتجاوزه الى ماهو افضل ، ولايتوافر ذلك للانسان الا اذا كان عنـده من الوعى مايكفى لكى ينخـرط فى سـلك بلاده فيكون ثائرا لبلاده وببلاده ، متضامنا فى ثورته مع مجموعة الشعوب البشرية ، فكل ماينتمى الى نفس النوع له قيمة انسانية كما يقول آرثر ميللر !

وهـكذا يضفى سارتر على فلسـفة الموقف بعـدا اخلاقيا جديدا ، وذلك من خـلال تفرقتـه بين الموقف المشروع والموقف اللامشروع ، فالموقف المشروع ينبغى الا يوغل فى الوهم فينتزع الانسان من ارض الواقع ، وينبغى

الا هبط الى حضيض السلبية فيشله عن التفكير والفعل وهذا معناه التزام الكاتب بأن يتصرف بحيث تكافح شخصياته الحرة فى سبيل نجاتها من مأزقها ، باختيارها مايتفق والارادة الحرة . وهذا ماعبر عنه سارتر فى تقديمه لمجلته الشهيرة : «العصور الحديثة» عام ١٩٤٥ بقوله :

((فى بعض المواقف لا مكان الا لتبادل حدين أحدهما الموت ، ويجب على الانسان أن يتصرف بحيث يستطيع فى كل حالة أن يختار الحياة)) !

فالحريات اذن قوى متعالية ، يحقق أصحابها وجودهم من خلالها ، كما يشاركون عن طريقها فى تحقيق المواقف الانسانية ، وبهذا يكون الادب بمثابة الضمير الحر للمجتمع ، والوطن ، والانسانية جمعاء .

وتأسيسا على هذا يقول سارتر فى العلاقة بين المسرح والموقف ، وبين الموضوع المسرحى واتجاه العصر :
((اذا كان الانسان حقا حرا فى موقف خاص ، واذا كان يختار نفسه عن حرية فى موقف خاص ، بمعنى أنه يختار نفسه فى الموقف ، وعن طريق الموقف ، كان علينا أن نعرض فى المسرح مواقف بسيطة وانسانية ، وحريات تختار نفسها فى مواقف . وابلغ مايعرضه المسرح تأثيرا هو عرض شخصية فى طريق تكوين نفسها، فى لحظة الاختيار ، عن قرار حر يرتبط به نوع من الخلق والحياة)) .

وهــذا معناه ان الكاتب المسرحى لم يعـد يهمه الاســتغراق فى ابعـاد الشخصيات النفسية لاستكمال الصورة ، بل ان يقتصر على تصوير هذه الابعاد فيمـا يخص الموقف ، فيجلوه بشخصياته من مختلف نواحيه، وهذا هو الذى يلغى من المسرحية معنى البطولة او فكرة البطل ، فلا بطل فى المسرحية لان كل الشخصيات سواء فى مجابهة موقفها العام ، وكل سلوك فيها له تبريره فى الكشف عن جانب بعينه من جوانب هذا الموقف ، وهذا هو الفارق بين مسرح المواقف ومسرح الشخصات، وهو ما اوضحه سارتر بقوله :

« كان المسرح فيمـــا مضى مسرح تحليـــل نفسى للشخصيات ، فكانت تعرض على المسرح شــخصيات تزيد فى تعقيدها او تنقص ، ولكنها تعرض عرضا تاما فى حياتهــا ، ولم يكن للمـؤلف دور الا فى وضـــع هــــذه الشخصيات بعضــها مع بعض ، مــع بيــان كيف يتم التحرير فى حيــاة كل شــخصية بتــأثير الشــخصيات الاخرى ، وقد بينت كيف حـدثت تغيرات هامة منــذ قليل فى هذا المجال ، فقد عاد كثير من الكتاب الى مسرح المواقف ، ولم يبق مجال لمسرح تحليل الشخصيات» .

وهكذا نجد ان كل جهود سارتر الدرامية تتجه لا الى تصوير نماذج كلاسيكية .. اجتماعية او تاريخية، كما كان الحال عند موليير وراسين اللذين قدما لنـــا

نماذج البخيل والكذاب ، والعاشق والخائن ، بل الى تصوير شخصيات فى «موقف» ، شخصيات توجد وتتطور على مستوى ديناميكى ، شخصيات تخلقهاطبيعة الموقف لا تقاليد المسرح !

وعلاوة على ذلك ، فان المسرحية الوجودية تختلف عن المسرحية الكلاسيكية فى ان الموقف فيها ليس ازمة أحداث درامية ، بل أزمة ذهنية خالصة . اى ان المسرحية لاتحتوى على عدد من الاحداث الدرامية المثيرة التى تهز وجدان المتفرج ، بل تصور موقفا تجمعت خيوطه على نحو يجعل منه أزمة من أزمات السلوك البشرى ، قل أزمة ضمير أو أزمة مصير . او أزمة قضية ، المهم انها ازمة تستحث المتفرج على التفكير وتضعه فوق سطح صفيح ساخن ، فوق سطح الموقف !

★ و «الذباب» هو عنوان اشهر مسرحية كتبها سارتر ، وأكثر مسرحياته وفاء بآرائه الفلسفية وفنه الدرامى . فالى جانب الروعة فى طرح قضايا تتصل بالمشكلات العصرية بعامة ، والسياسية منها على وجه الخصوص ، هناك البراعة فى ايراد الحوار وادارة الشخصيات ، والاستاذية فى تحويل الفكر الى نوع من السلوك مع الاحتفاظ للمسرحية بقيمتها الدرامية ، وان تكن مسرحية ذهنية أو مسرحية موقف . ثم هناك الوفاء لنظرية الالتزام فيما يتعلق بشكل العمل الفنى ..

فلا فصل بين الشكل والمضمون ، وانما هما معا لانه لا وجود لاحدهما بمعزل عن الآخر ، فلاقيمة لشكل من حيث هو شكل ، ولا قيمة لجمال ليس له مضمون اجتماعى ، ومن ثم فالاسلوب ماهو الا وسيلة يتوسل بها وليس غاية تقصد لذاتها ، ومن غير أن يكون فى ذلك خيانة لضمير الكاتب ، ومن غير أن يصير أدبه بوقا من أبواق الدعاية !

والتعديل الذى أدخله سارتر على الاسطورة الاغريقية القديمة ، كان حقا تعديلا عجيبا يختلف كل الاختلاف عن التعديلات المعتادة ، فمسرحية «الذباب» ليست مجرد ترديد للمسرحية القديمة بعد أن صبت فى قالب عصرى حساس ، وعولجت معالجة فنية حديثة، كما فعل جان جيرودو فى مسرحية «الكترا» ولا هى ترديد للقصة فى وضع عصرى جديد ، وبيئة سيكلوجية جديدة كما فعل أو يفعل فى مسرحية «الحداد يليق بالكترا» ، ولا هى احلال لقصة قديمة فى صياغة سيريالية معاصرة كما فعل جان كوكتو فى مسرحية «الآلة الجهنمية» ، وانما هى شىء يختلف عن هذا كله ، شىء بلغ من الاتقان والاحكام ماأضطر معه سارتر الى اعادة بناء القصة فى كثير من المواضع .

وكم يحلو للانسان أن يقارن بين مسرحية «الذباب» لسارتر ، وبين «اجمونت» لجيته ، أو «وليم تل» لشيلر ، فهنا مسرحية تهيب بالانسان أن

يواصل انتصاره من أجل الحرية ، ومن اجل مقاومة العدو ، ومن أجل الاطاحة بالمستعمر الاجنبى ، حقا ما اروع جراة «أورست» الداعى الى التحرير .

وخلاصة هذه المسرحية ان جاز التلخيص أن «أورست» البطل الاغريقى القديم ، الذى يتحول عند سارتر الى بطل وجودى ، يتفق مع اخته «الكترا» كما تقول الاسطورة ، على قتل أمهما الملكة «كليتمنسترا» وعشيقها الملك غير الشرعى «ايجست» جزاء ما اقترفا من قتل والدهما الملك العظيم الشبيه بالآلهة « اجاممنون » .

فعندما عاد الاخير من حرب طروادة ظافرا ، اعد له الآثمان كأس الخيانة والغدر ، بدلا من كأس النصر والفخار ، فقتلاه كما تقتل الحشرة أو كما يذبح الحيوان، وهكذا خلا لهما الجو لكى يكرعا لذات الحب الآثم فوق سرير الخيانة والطعان ، ولكى لاينغص «أورست» عليهما حياتهما القيا به خارج المدينة عسى أن تلتهمه وحوش الغابة أو سباع الطير . أما اخته «الكترا» فيستبقيانها خادمة فى القصر .

ويكبر أورست ويغدو شابا قوى البنيان ، عظيم الثقافة ، عالما بقصته ، راغبا فى أن يثأر لأبيه :

« واليوم ها أنت شاب ذو يسار وجمال ، محنك كالشيوخ ، حر من كل عبودية وكل اعتقاد ، لا أهل ولا وطن ولا دين ولا مهنة ، حر فى أن تلتزم بما شئت

عليم بأنه لاينبغى للانسان ان يلتزم بشىء قط » .

ويعود من منفاه ويتعرف على أخته عندما جاءت الى قبر ابيها تقدم لروحه القربان ، وعند هذا القبر .. قبر أبيهما العظيم .. يتفقان على ان ينتقما لأبيهما ويثأرا له مهما كلفهما ذلك من مشقة وعناء ، ويفى «اورست» بوعده فيقتل «ايجست» .. يطعنه ويتركه مجندلا فى غرفته والسيف غائر فى كبده ، ثم يتحول الى الملكة فيطعنها هى الاخرى ،ويتركها فاغرة الفم والعينين، وبذلك يموت عدواه ، وبموتهما يموت حقده وان ظل سنين طوال يستمتع بلذة هذا الموت قبل أن يقع .

وهكذا يصيح «أورست» فى وجه أخته ، ويداه مضرجتان بالدماء : «انى حر يا الكترا ، وها هى الحرية تنقض على كما تنقض الصاعقة» .

وترد عليه «الكترا» : «حر ؟ أما أنا فلا أشعر بأنى حرة » .

ذلك لان أورست بعد أن تم له قتل أمه وعشيقها، لم تلاحقه آلهة الانتقام كما فى الاسطورة القديمة ، بل لاحقه ذباب الندم الذى هو فى مسرحية سارتر بديل لهذه الآلهة . ولكن أورست لايعبأ بطنين هذا الذباب ؛ لأنه باعتباره بطلا وجوديا قد تخلص مما يسمونه الضمير ، وبالتالى مما يسمونه الندم ، واصبح يرى أن مافعله نابع من ذاته ، وصادر عن أعماق وجوده ، وأنه قد فعله بمحض تفكيره وارادته الحرة ، ومن ثم فهو

وحده المسئول عن فعله مسئولية كاملة ، « الكترا . . فعلت مافعلت ولن اندم عليه ، ولا أرى من الخير الكلا فيه » :

اما الكترا فلأنها لم تصبح بعـد وجودية كاملة فاننـا نرأها تخشى هـذا الذباب الذى يحـاصره ويترصدها ويهبط عليها فى حجم النحل ، فينهش في عينيها ، ويطن فى اذنيها ، ويتركها فريسة لربات الندم ولهذا نراها تنهار وتثور فى وجه أخيها : «انها جريمتك .. جريمتك التى تنهش خدى ، وتنتزع جفونى حتى يبدو لى أن عينى واضراسى أصبحت عارية » .

وهكذا نجد أن الندم ، والضمير ، وأمثال هذه الاشياء لم يعد لها مكان فى الدراما الوجودية الحديثة ؛ لأن أشياء اخرى غيرها قد حلت محلها ، أشياء من قبيل الحرية والمسئولية والموقف والاختيار ، ولهذا فانهذه المسرحية تبلغ ذروة روعتها فى هذا المشهد الذى يقع قـرب النهـاية ، والذى يدور بين البطل الوجـودى «أورست» وبين «جـوبيتر» كبير الآلهـة ، حيث يقف الانسان موقف المعارضة من الآلهة :

أورست : ان كونك كله لايكفى لكى يشـعرنى بالخطأ . أنت ملك الآلهـة ياجوبيتر ، ملك الحجـارة ، والنجوم ، وأمواج البحر ، ولكنك لست ملكا على الانسان .

جوبيتر : لست ملكا عليك انت أيهـا الحشرة الدنيئـة الوقحة ، فمن الذى خلقك اذن ؟

اورست : انت الذى خـلقتنى ، ولكن كان يجـب الا تخلقنى حرا .

جوبيتر : انما وهبتك الحرية لتخدمنى .

اورست : قد يكون هذا صحيحا ، ولكن هـذه الحرية قد انقلبت ضدك ، فلا أنا ولا أنت نسـتطيع أن نغير من ذلك شيئا .

جوبيتر : واخيرا ، هذا هو العذر .

أورست : أنا لا أعتذر .

جوبيتر : وهل هذا صحيح ؟ اتعرف أن هـذه الحرية التى تدعى أنك عبد لها تكاد أن تكون أعتذارا .

أورست : لست السيد ولا العبد .. وانما أنا الحرية، ما أن خلقتنى حتى خرجت عليك ، ولم يعد لك على سلطان .

وما أن يفرغ «أورست» من كلامه ، حتى يسارع الى مواجهة الجماهير فى جراة وشجاعة ، هاتفا بانهم فى حل من كل الالتزامات التى فرضت عليهم جـزاء جرمهم ، وبأنه وحده سيحمل عن المدينة كلهـا خطيئة قتل والده الملك .

وبعد أن يعفى «أورست» الناس من هـذا الاثم لبضعه على كاهله هو ، يتلاشى الندم ويموت الذباب ؛ لأن حياة جديدة اشرقت على الضفة الاخرى من النهر،

وعلى الجانب الآخر من الجبال : «وداعا أيها النـاس وحاولوا أن تحيوا ، فكل ماهنا جديد ، وكل شيء قـد بدأ منذ اليوم فحسب ، وحياتي ايضا قـد بـدأت ، ويالها من حياة غريبة» .

وتفســير ذلك وجـوديا أن الحـرية التي عاناها اورست بقوله : «ذاتي حريتي» انما تتألف من سيطرته على دخيلة نفسه ، ومن معرفته لنفسه في وقت واحد ، وهاتان هما الدعامتان اللتـان ترتبت عليهما المطالبـة بالحـرية السـياسية في صورة التحرر من المسـتعمر الاجنبي ، والتطلع الى الانسان الجديد ، الذي يحيا في البلد البعيد ، استمع الى «أورست» وهو يناجي اخته «الكترا» بعد ان تحررا :

اورست : اعطني يدك ، سوف نذهب .

الكترا : الى اين ؟

اورست : لا ادري ، سوف نذهب صـوب انفســنا ، فعلى الضفة الاخرى من النهر ، وفي الجانب الآخر من الجبـال ، ينتظرنا أورست آخـــر والكترا أخرى ، يجب الا نبحث عنهما في جهد وأناة .

اي انه لم يعد لمشكلة سوى مشكلة الحرية أيـة أهمية على الاطلاق ، نعم ، فقد استطاع الفيلسوف أن يدير المعركة بحكمة ودهاء ، اسـتطاع ان يجعـل من مسرحيته لغما ينفجر في جوف حكومة النازي ومنشورا ثوريا يوزع على جميع أهالي باريس ، وما أن يسـدل

الستار حتى تنطلق فى طول البلاد وعرضها نغمة جديدة تهيب بالانسان الفرنسى أن يخلع رداء الندم ، ويتخلص من الذباب ، أن يعتنق الحرية ويعمل على التحرر ، أن يردد فرحة البطل الوجودى «أورست» اذ يلتقى بأخته «الكترا» بعد غيبة خمسة عشر عاما ، لانها فى الحقيقة فرحة الكاتب سارتر اذ يعود من الاسر ليرتمى على صدر معبودته باريس :

« لقد ولى الليل وهذا مطلع الفجر ، ونحن حران يا الكترا ، يلوح لى انى وهبتك الميلاد وانى لم أولد الا معك ، انى احبك وانت لى ،وبالامس كنت وحيدا واليوم انت لى ، لقد ضاعف الدم توثيق عرانا ، لاننا من دم واحد ، وقد ارقنا دما » .

★ وسارتر على حق ، فان نظرة واحدة الى ماتعانيه الانسانية من ذعر وفزع ، ثم نظرة أخرى الى محنة الانسان ومحنة الحضارة ، ثم نظرة ثالثة واخيرة الى عظم مسئوليتنا نحن أبناء هذا العصر ازاء المأساة الانسانية الكبرى ، تجعلنا جميعا نحس بجدية هذا الكلام ، وبأن مصير الانسانية كله معلق بخيط واه من الامل ، الامل فى الحرية ، والامل فى الانسان ، لاننا كما قال سارتر : «بنفس الحجارة نستطيع أن نبنى للحرية قبرا ، ونستطيع أن نشيد لها معبدا » .

على أنه اذا كانت هذه المسرحية بالنسبة لمسرح سارتر هى مسرحية «التحرير» التى فجر فيها ألغام

لحرية ، فان المسرحية التى تلت ذلك مباشرة هى مسرحية « التنوير » أو المسرحية التى تم فيها التحرر بالفعل ، ولذلك فاذا كانت مسرحية «الذباب» تحرير وانفعال ، فان مسرحية « لامفر» تنوير وفعل . المسرحية الاولى فيها مقاومة العدو وتحقيق النصر من الخارج ، أما المسرحية الثانية ففيها مقاومة الذات وتطهير النفس من الداخل ، فالفرحة التى عمت باريس بعد تحريرها من الاحتلال النازى كانت فى حقيقتها هى فرحة النصر ، وماصاحب ذلك من فوضى الفرحة أو فوضى الحرية ، لذلك كان لابد من تنظيم هذه الفرحة، وتهذيب تلك الحرية ، فاذا كنا قد حصلنا على حريتنا، فما الذى ينبغى أن نفعله بهذه الحرية ؟

ان التنوير يأتى بعد التحرير .. تماما كما أن التعمير يجىء بعد التدمير ، ولكن أيجوز للانسان ان يحكم على حياة انسان آخر من واقع عمل واحد ؟

هذا هو السؤال الذى يلقيه « جارسان » فى مسرحية سارتر الثانية ، لتجيب عليه «انييز» بقولها : «الاعمال وحدها هى التى تحدد كنه ماينشده الانسان، انك أنت حياتك ، ولاشىء غير هذا » .

وهكذا نجد أن «جارسان» فى مسرحية « لا مفر » يجىء بعد «أورست» فى مسرحية «الذباب» ليتم ما بداه الآخر ، وليكون مصداقا لقول أورست : « أن الحياة الانسانية تبدأ على الجانب الآخر من الشعور باليأس» .

ولذلك كانت مسرحية « الذباب » هى ا
التى تمثل خلاص الشعب ، بمقدار ماجاء
« لا مفر » لتمثل خلاص روح الانسان . و
ماقصد اليه جان بول سارتر قصداً ، حين
الحرية السياسية فى المسرحية الاولى وكأ
حرية سابقة عليها يعسر فهمها وادراكها و
عليه من اغوار .. انها حرية الذات ..
اذا كانت حالة «أورست» العقلية غير
وصفت بأنها غيبة رائعة ، فان حالته
هى بلاشك «منفى» والفرق بين الحال
بنتلى ينم عن الوعى والدهاء .. الفر
الغائب ، وبين الرجل الحر المنفى ،
الرغم من منفاه مرتبط بالتزامات
الانسانى ، مجتمع الآخرين !

ومسرحية « لا مفر » تصف
يوما واحدا فقط نعرف منـه
الايام ، ونعرف منه أيضا أن ا
لمن يدخله ، ولا مفر منـه لكن
فتحت أبوابه على مصاريعها
وكما تصف لنا يوما واحـد
تدخل بنا حجرة واحدة فقط
بنا فى كل عرصات الجحيم

وهى تطرح علينا

★ اشخاص كلهم ابطال على قدم المساواة ، وهم جارسان واستيل واينيز ، يضاف اليهم احد الزبانية يأتى بهم الواحد بعد الآخر الى مكانهم من الجحيم ، وبعد ان يزود كلا منهم بالتعليمات الواجب اتباعها يختفى الى النهاية ، يختفى تاركا وراءه هؤلاء الثلاثة ، وكل منهم يحاول أن يضع الخطة التى تكفل له السعادة مع واحد من الاثنين الآخرين .

ولكن .. عبثا يحاولون ، فكلما نشبت علاقة بين أحدهم وأى من الاثنين الآخرين ، تدخل الثالث ليفض هذه العلاقة ، وليعودوا جميعا كما كانوا اشتاتا فرادى .. وفى النهاية يتضح لنا ولهم ان حشر ثلاثة اشخاص يجهل كل منهم الآخر فى حجرة واحدة ، وان بدا يسيرا فى أول الامر ، الا أنه سرعان مايخلق جحيما أشد هولا من جحيم الاغلال ، وعذابا اشد قسوة من عذاب السعير . وهذا ما عبر عنه أحد هؤلاء الاشخاص الثلاثة بقوله : «كل واحد منا هو فى الواقع جلاد الاثنين الآخرين» .

ولكن .. من هم هؤلاء الاشخاص الثلاثة ؟
وما الذى جاء بهم الى الجحيم ؟

أولهم هو «جارسان» صحفى من دعاة السلام ، أعدم رميا بالرصاص أثناء محاولته الفرار من الخدمة العسكرية ، وهو منطو على ذاته يكثر من الانزواء ، ويقل

من الكلام ، ويدفن وجهه فى كفيه كلمـا اسـتعاد ذكرى ماضيه الملطخ بالعار ، ولا أمل له فى هذا الجحيم الا أن تتركه المرأتان وشأنه ، فيخلو الى ذاته يحاسبها ، ويعيد الحساب عساه يجـد لذاته معنى فى كون خـلا من كل معنى .

أما ثانيتهم فهى العانس «اينيز» امراة مسترجلة، تعزف عن الرجال ، وتتعشق النساء ، ولا أمل لها فى هذا الجحيم الا أن تطارد المرأة الوحيدة التى جمعتها بها الاقدار ..هنا فى هذه الحلقة المفرغة . ورغم انهـا امرأة دامية ودموية تكثر من الكلام عن المشانق والخناجر والقتل والاعدام ، فهى طيبة القلب تدرك انهـا ملعونة لكثرة ماجنت من خطايا ، ولكثرة خطاياها تعلم أنه قد اوصدت فى وجهها أبواب الغفران .

وأخيراً تجىء اسـتيل .. امراة لعوب ، باهـرة الجمال ملتهبة الشفاه ، ملتصقة بجسدها الى حـد الهوس ، فكل ماكان يهمها فى الحيـاة ، وما يهمها الآن بعد الموت هو أن تروى هذا الجسد وتطفىء هذه الشفاه بقبلات الرجال ، ولذلك نراها تطارد الرجل الوحيـد بل الرجل الاوحد فى هذا المكان باحثة عن الحب ، باحثة عنه حتى ولو كان فوق عرصات الجحيم !

ولكن ما الذى جاء بهؤلاء الثـلاثة الى هـذا المكان ؟

★ ما الذى حشرهم هنا فى هذا الجحيم ؟

استيل تقول : «انها مجرد الصـــدفة التى جمعت بيننا » أما اينيز فترى : « انهم قد رتبـوا كل شيء ، حتى أتفه التفاصيل رتبوها بعناية كاملة ، فهذه الغرفة كانت فى انتظارنا» وأما «جارســان» فيرى ان خطاياهم لابد انها كانت متشابهة مما جمعهم هم الثلاثة فى مكان واحد ، وهكذا يعترف كل منهم لزميليه بالاثم الذى ارتكبه فاستحق من اجله هذا الجحيم !

أما «جارسان» فهـو أقلهم خطيئة فيما يبدو ، ولذلك فهو يتصرف كما لو كان أكثرهم بطولة ...ولكن الجرح الاليم فى حياته فيما عدا قصة فراره من المعركة والحكم عليه بالاعدام هو معاملتهالحقيرة لزوجته الوفية. كان يرغمها على ان تأتيه بطعام الافطار وهو راقد مـع عشيقته فى الفراش ، وظل على هذا الحال طوال حياته، والمسكينة لاتشكو ولاتتوجع ، وانما تقيم على حبه فى الوقت الذى يقيم هو فيه على خيانتها ، وأمام عينيها ! لقد تمادى فى اهانتهـا وخيانتها تماما كمـــا يفعـل الجبناء !

ان «مشكلة «جارسان» تتلخص فى انه يعتقد ان فراره ليس دليلا على الجبن ، وانمـا هـو دليل على الشـــجاعة ، لأنه فر بمحض اختياره ، ولانه يعلم ان الفرار أشق من القتال ، ولأنه أخيرا كان ينوى الرحيل

الى المكسيك لينشيء هناك صحيفة تندد بالحرب وتدعو الى السلام !

ان جحيم «جارسان» هو انه لايجد احـدا يؤمن بشجاعته ، احدا يقول له بصراحة وصـدق انه ليس جبانا ، وهاهو يعرض قضيته على كل من المراتين :

أما اينيز «فتقول له : «ان الأفعال تحدد مايختاره الانسـان .. وعليك أن تدفع الحساب ، فأنت حيـاتك ولا شيء آخر » . غير ان اينيز ايضا هى حياتها لا شيء آخر ، وحياتها هى حياة الشذوذ الجنسى والتشـويه النفسى والخطيئة والخطأ فى وقت واحد ، فهى تنفر من الرجال ، وتعشق النساء ، وكانت تعيش مع ابن عمها ، فأفسدت عليه زوجته فلورانس ، وشـجعتها على ان تهجره ، ولم يجد المسكين، ما يريحه من العذاب الا التزام الذى صدمه وقضى عليه فى الحال ، وظلت اينيز تحمل فلورانس مسئولية قتل زوجها ، وتلتذ بتعذيبها كل هذا العذاب ، حتى يئست من الحياة ، وذات ليلة فتحت فلورانس صنبور الغـاز الذى ادى الى اختناق المراتين معا . وهاهى الآن تطارد استيل بعد الموت ، كما كانت تطارد فلورانس فى الحياة ، ولكن جحيمها أن اسـتيل امرأة سـوية وليست شـاذة ، وهى تحتقـرها كل الاحتقار ، ولاتهتم الا باغراء جارسان .

واستيل هذه امرأة باريسية بمعنى الكلمة ، امرأة لا هم لها الا الحب ، فهى متزوجـة وعاشـقة فى وقت

واحد ، تخون زوجها العجوز مع عشيقها «روجيه» وتنجب منه طفلة تلقى بها من النافذة أمام عينيه، فتؤدى هذه الحادثة بعشيقها الى الجنون ، ومن بعده الى الانتحار . ولاتجد استيل أمامها الا الفتى «بيير» الذى كان يجن بحبها جنونا غير عادى ، طالما عبر عنه بكلمات أقرب الى الشعر ، ولكنه الآن ، وبعد أن اكتشف حقيقتها انصرف الى الفتاة «أولجا» ذات الشعر الاحمر والجسد البدين ، واخيرا تعيش استيل وحدها فى باريس بعد أن فقدت كل شىء ، طفلتها وعشيقها وزوجها وآخر المحبين ، وتظل فى وحدتها الى أن تموت لا من عذاب الضمير ، ولكن من الالتهاب الرئوى .

أن جحيم استيل الآن ، هو انها فى حاجة الى رجل ، فى حاجة الى جارسان ، ليكن مايكون أشجع الشجعان أو أجبن الجبناء ، المهم انها تريد رجلا ، وجارسان هو الرجل الوحيد والاخير فى هذا الجحيم !

وهكذا يدور الصراع فى هذه المسرحية ، يدور فى حلقة مفرغة ، اينيز تتعذب لاعراض استيل ، واستيل تتعذب لاعراض جارسان ، وجارسان يتعذب لاعراضه عن نفسه ، نفسه التى فقدها ، وعادت اليه الآن تحاسبه على فراره من المعركة . وعبثا يحاول جارسان أن يخرج من هذا الجحيم .. فالباب مفتوح ، ولا من حارس هنا أو سجان ، ولكن جارسان يؤثر البقاء

بمحض اختياره ، لأن الخروج معناه العدم . والعدم عند الوجوديين افظع من الجحيم !

وتلك هي ذروة الموقف الوجودى ، او على حد تعبير سارتر «عذاب الانسان» ، فالحياة هي هذا الجحيم ، ولكن الفرار من الحياة هو العدم . والبطولة عند الوجوديين ليست فى الفرار ولكنها فى الاستمرار ، لانه كما قال اندريه مالرو : « اذا كانت الحياة لاتساوى شيئا ، فان شيئا لايساوى الحياة» !

وهذا هو ما ادركه البطل الوجودى «جارسان» تمام الادراك ، فالحياة لابد لها من هذين العنصرين .. لابد لها من اينيز ، المراة الصريحة الى درجة الوقاحة والحقارة ، والتى اختارها سارتر ليرمز بها الى ضمير الانسان ، ولابد لها أيضا من استيل المراة الجميلة العابثة الى درجة الغواية والاستهتار ، والتى اختارها سارتر ليرمز بها الى ارادة الحياة فى الانسان ، وهذان البعدان .. الضمير والارادة هما جناحا الموقف الوجودى وهما فى الوقت ذاته الاداتان الاساسيتان فى يد البطل الوجودى لفهم نفسه ، ولفهم العالم من حوله .

نعم .. ان مسرحية « لا مفر » كما لاحظ الناقد ريك بنتلى بحق ، انما هي مسرحية اخلاقية ، مسرحية تقوم على الشخصيات بمقتضى تعريف ارسطو من ان الشخصية هى مايكشف عن الهدف الاخلاقى مبينا ماهية الاشياء التى يختارها الانسان أو يرفضها ، فهى

تبين ماهية مااختاره هؤلاء الاشخاص الثلاثة ومارفضوه مما جر عليهم اللعنة الابدية ، وأدى بهم الى الجحيم !

ولكن .. ماهو الجحيم ؟!

« الجحيم هو الآخرون» على حد تعبير جارسان، هو أن يجد الانسان نفسه مع «الغير» وفى قلب «الموقف»، فالموقف كما سبق أن أسلفنا هو أهم اضـافة قدمها الوجوديون الى المسرح ، وهو مااصبح علما وعلامة على مسرح جان بول سارتر .

ولا يفوت سارتر هنا فى هذه المسرحية ، أن يفجر جميع امكانيات هذا الموقف الوجودى ، وأن يستغلها الى حدها الاقصى ، فهو يضع رجـلا فى الوسط بين امرأتين لكى يحقق المثلث الكلاسيكى الاثير لدى الفرنسيين من ناحية ، ولكى يجعل شخصياته الثلاث من ناحية أخرى مرايا عاكسة تعكس صـورا عـديدة لحـدث واحد .

ولقـد كتب الناقد الامريكى الشـهير « فرنسيس فرجسون » عن الحركة التجـديدية الرابعـة ، فقال : « اصبحنا نرى اليوم فى الاتجـاه الجـديد شـيئا من الخطورة والخطر ، وفى اعتقادى أنه لابد أن يضع الانسان فى مقابل براعة كوكتو المسرحية ، واتجاه اليوت الدينى، وصور لوراكا الشعبية ، لابد أن يضع فى مقابلها نظرية سارتر عن الموقف او الحدث الذى يكون مشابها لـ كز والذى

يستطاع رؤيته من زوايا كثيرة» ومصداقا لقول فرنسيس فرجسون يمكننا أن نعود الى الجحيم لنراه مرة ثالثة من منظور ثالث ، فبعد الجحيم على مستوى الحدث المسرحي المباشر ، والجحيم على مستوى الموقف الفكرى السياسى .. فالمحنة التى أصيب بها أشخاص المسرحية الثلاثة ، ليست هى محنة الانسان فحسب ولكنها محنة فرنسا بوجه عام ، ومحنتها بوجه خاص بعد سقوط باريس أمام جيوش النازى فى الحرب العالمية الثانية !

أما جارسان فهو يمثل الانسان الفرنسى المتحضر، الانسان الذى يؤمن بالحرية ويدعو للسلام ، الانسان الذى لايطيق الحرب ويرى أنها تدمير لكل معانى الحياة، لهذا فهو لم يفر من الميدان خوفا من القتال ، ولكن ايمانا بالسلام ، فهو ليس جبانا وأن أجمع الكل على أنه جبان . ان مايؤرقه هو أنه يريد أن يثبت للعالم وللتاريخ أنه ليس جبانا ، وأنه لم يفر طلبا للسلامة ، ولكن ايمانا بالسلام ، ولو أنه وجد انسانا واحدا يقتنع بموقفه ، لاسترد اعتباره ، واستراح من هذا الجحيم .

ولكن .. أين عساه يجد هذا الانسان ؟

فهاهى استيل الجميلة ، المتحررة ، المقبلة على الحياة ، والتى ترمز الى فرنسا الديمقراطية ، فرنسا .. الحرية والاخاء والمساواة ، والتى قتلت طفلتها

«جان دارك» ، هاهى تكشف عن وجهها الجميل الخادع، لتظهر عما تحت الوجـه من قبح ودمامة ، من خيـانة للزوج ، وقتل للابنة وانتحار للعشـيق ، حتى حبهـا البرىء .. الفتى بيير الذى يرمز لشباب الجيل الجديد فقدته أخـيرا بعـد أن اكتشف فيها كل هـذا العفن والخواء ، فأعرض عنها الى حب الفتاة أولجا ذات الشعر الاحمر ، والجسد البدين ، والوجـه القاسى الملامح ، والتى ترمز الى روسيا الشيوعية .

وهاهى ايضا اينيز المرأة المسترجلة ذات العواطف الشاذة ، التى تنفر من العلاقات الطبيعية نفـورها من الرجال ، والتى ترمز الى ألمانيا النازية ، التى تطـارد الدول الاخرى وتوقعهـا فى حبـائلها ، تحت شـعار «النظـام الجـديد» ولاتكف عن تعذيب هـذه الدول واشعارها باستمرار بأنها من جنس أدنى .. أدنى من جنسها هى ، الذى هو فى رأيها ارقى الأجنـاس لقـد استولت من قبل على فلورانس (ايطاليا) حتى هجرت زوجها، ولم تجد أمامها سوى العذاب، فقد قدمت على الانتحار ، وعلى الخلاص من حياتها وحياة اينيز معهـا فى ذات الوقت . وهاهى الآن تطارد استيل كما كانت النازية تطارد فرنسا ، وتحـاول أن تسـتولى عليها ، وتسلبها ارادتها فتخضع لها بطاعة عمياء ، ولاتتورع فى ذات الوقت عن تذكير جارسان بجبنه وفراره من المعركة تماما كما كانت النازية تفعل مع الفرنسيين !

ولكن استيل الفرنسية ، أو استيل — فرنسا التى جبلت على حب الحرية ، وعشق الحياة ، والتى لا تمنح قلبها الا لرجلها ، تنفر من اينيز الشاذة ، ولاتستجيب لشذوذها الجنسى أو العاطفى ، تماما كما كانت فرنسا المحتلة تنفر من المانيا النازية ، وترفض أن تستسلم لها ، أو ان تعطيها القلب او الروح . وعندما وقفت استيل بين اينيز وجارسان ، وكان عليها أن تختار ، اختارت جارسان ! .

وصحيح أن جارسان يمثل الرجل الفرنسى الذى اعتقد فى النهاية أن انهيار فرنسا كان نتيجة فراره من الميدان ، وهروبه من المعركة ، ولكن الصحيح ايضا انه كان يعتقد فى ذات الوقت أن فراره لم يكن عن جبن ،وأن هروبه لم يكن عن نذالة ، ولكنه فعل مافعل لانه كان يؤمن بالسلام .

وهكذا نرى انه اذا كانت فترة الاحتلال النازى قد اصابت فرنسا فى عقلها ، فانها لم تستطع ابدا ان تصيبها فى روحها ، فالروح الفرنسى .. روح الحب والحرية ، ظل نقيا كما هو ، يداه مضرجتان بالدماء ولكن عينيه تشرقان بالحياة .. الى أن جاءته الحرية بعد الاحتلال والحياة بعد الموات !

وهكذا ايضا بفضل الاحساس العميق بالحرية الداخلية ، وضرورة العمل على تأكيدها فى الخارج ،

★ نشبت حرب المقاومة .. مقاومة العدو بكل الوسائل وفى كل مكان .. بالكلمة المكتوبة ، والنغمة المسموعة ، والصورة المرسومة ، فضلا عن طلقات النار .

وأخيرا عادت الحرية الى باريس كما يعود الربيع الى الحياة ، وانطلقت فى طول البلاد وعرضها صيحة البطل الوجودى أو الانسان الجديد :

« هاأنذا موجود ، أتذوق نفسى ، انى أحس بالطعم القديم للدم وللماء الحديدى ، وذوقى هو انى أتذوق نفسى ، انى أحيا ، والحياة هى هذا : ان اتمتع بنفسى، وأرتوى منها بلا ظمأ ، أربعة وثلاثون عاما أتذوق فيها نفسى ، وقد كبرت ، قد اشتغلت ، وانتظرت . وبلغت ما كنت أريد .. مارسيل وباريس والاستقلال . وقد انتهى كل شىء ، فلا أنتظر شيئا بعد ذلك » .

هذا هو الانسان الحديث ، الانسان الحر حرية كاملة ، الانسان الذى تحرر من كل مؤثر خارجى .. طبيعى أو اجتماعى . والوجودية ليست شيئا سوى فلسفة هذا الانسان الحديث ، فاذا كان لعصرنا «جوه» الخاص ، وكان سارتر هو التعبير الفلسفى عن هذا الجو ، فهذه المسرحية « لا مفر » هى التعبير المسرحى عن جو هذا العصر !

جلال العشرى

لامفر .

هذه هي الترجمة الكاملة لمسرحية

NO EXIT

للكاتب الفرنسي المعاصر :

Jean-Paul Sartre

شخصيات المسرحية :

● فاليه	Valet
● جارسان	Garcin
● استيل	Estelle
● آينيز	Ines

● المنظـر

صالون من طراز الامبراطورية الثانية ، تمثال ضخم من البرونز لجمهرة من الناس ؛ ملقى فوق المدفاة .

جارسان : (يدخل ، يرافقه خادمه الخصوصي ، ينظر فيما حوله) هم .. م .. هانحن ذا اذن !

الخادم : نعم .. يامستر جارسان

جارسان : وهذا ماتبدو عليه ؟

الخادم : نعم

جارسان : أثاث من طراز الامبراطورية الثانية ، كما أرى ، حسنا .. حسنا . أظن أن المرء يعتاد هذا الأثاث بمضى الزمن .

الخادم : بعض الناس يعتادونه ، وبعضهم لايعتادونه

جارسان : هل كل الغرف متماثلة ؟

الخادم : وكيف يمكن أن تكون كذلك ؟ اننا نقوم هنا على خدمة كل الاجناس .. صينيين وهنود مثلا ، فأى حاجة لهم بكرسى من طراز الامبراطورية الثانية ؟

جارسان : وماحاجتى انا اليه فى رايك ؟ اتدرى من كنت ؟ ماعلينا ، فليس لذلك اية أهمية ، أقول لك الحق ، كنت معتادا على ان اعيش دائما بين اثاث لااستطيع ان اتذوقه ، وفى أوضاع زائفة ، بل لقد وصل بى الحال الى تذوق وضع زائف فى غرفة مائدة من طراز لويس فيليب . انت تعرف الطراز ؟ حسنا .. كان لهذا مزاياه .. زيف فى زيف .. كما يقولون .

الخادم : سترى أن العيش فى صالون من طراز الامبراطورية الثانية له مزاياه .

جارسان : حقا ؟ نعم .. نعم .. ربما . (يلقى بنظرة أخرى فيما حوله) مهما يكن من شىء ، فانى لم اكن اتوقع هذا : انت لاتجهل مايقال لنا هناك ؟

الخادم : عن أى شىء ؟

جارسان : (باشارة مبهمة عريضة) هـذا ـ الـ ـ المسكن .

الخادم : حقا ، ياسيدى ، كيف يمكن أن تصدق هـذه الحماقات ؟ انها اشياء يقولها اناس لم يضعوا اقدامهم هنا من قبل ، لانهم بطبيعة الحال ، لو كانوا قد اتوا هنا ...

جارسان : هذا صحيح .

(يضحكان كلاهما ، وتبدو على وجه جارسان علامات الجد دفعة واحدة)

جارسان : واين الخوازيق ؟ اين ادوات التعذيب ؟

الخادم : ماذا ؟

جارسان : الخوازيق ؟ والمحارق ؟ والاجهزة الاخرى ؟

الخادم : آه . ياسيدى ، انك تحب المزاح

جارسان : المزاح ؟ آه .. فهمت ، لا ، لم اكن امزح (صمت قصير ، يسير على مهل فى الغرفة) الاحظ انه لاتوجد مرايا ، ولا شبابيك ، امر طبيعى جدا، لاشيء مما يسهل كسره (بعنف مفاجيء) ولكن .. اللعنة على كل شيء ، كان بمقدورهم أن يتركوا فرشة اسنانى

الخادم : عظيم ! انـك لم تتخلص اذن من .. مـاذا تسميه ؟ الاحساس بالكرامة الانسانية ؟ اغفر لى ابتسامتى !

جارسان : (وهو يدق على ذراع الكرسى بغضب) اننى اطلب منك ان تكون اكثر ادبا . انا ادرك موقفى تماما ، ولكنى لن اقبل منك ...

الخادم : ياســيدى .. لم أقصـد اهانتك ، ولكن كل النزلاء عندنا يوجهون نفس السؤال ، يحضرون فيسألون : « أين الخوازيق ؟ » هـذا هـو أول سؤال يوجهه الجميع عن بكرة ابيهم ، يوجهـون اسئلة سخيفة ، اذا سمحت لى باستخدام هـذا التعبير. وأؤكد لك انهم لايفكرون حتى فى متطلبات عملى ، لـكنهم بعـد فترة ، ما أن يسـتعيدوا هدوءهم ، حتى يأتى دور فرشة الاسنان ، وما الى ذلك ، ولكن قل لى بربك يامستر جارسان ، الا تستعملون عقولكم ؟ فمـا جـدوى تنظيف اسنانكم ؟

جارسان : (وهو اكثر هدوءا) نعم .. انت بالطبع، على حق ، (ينظر فيما حوله مرة ثانية) ولماذا يريد المرء أن يـرى نفسـه فى المرآة ؟ ولكن تلك التقليعـة البرونزية ، هذه حكاية أخرى ، اظننى ستمر بى لحظات تبرز فيها عيناى من محجريهما وأنا احملق فيها ، تبرز عيناى وانا أحملق فيها ، هل تفهم ما أقصده ؟ هيا ، ليس لدى ما أخفيه ، فقد قلت لك اننى ادرك مـوقفى ، أتريـد أن أخبرك عن شعورى ؟ ان الشخص يغرق ، ويختنق ، ويغوص بالتدريج حتى لايبقى منـه فوق الماء الا عيناه . وماذا يرى ؟ تمثالا بشعا من البرونز بالقرب منه ، ما اسم هذا التمثال ؟ تحفة يقتنيها الهواة ، كما

يحدث فى الكابوس ، هذه هى فكرتهم .. أليس كذلك ؟ اغلب الظن انهم أمروك بألا ترد على اسئلتى ، فلن الح عليك . ولكن لاتنسى ، ياصديقى أن لدى فكرة لامعة عما سيحدث لى ، فلا تفاخر بأنك قد اخذتنى على غرة . اننى أواجه الموقف ، أواجهه (يستأنف سيره) هذا هو الحال اذن ، لا فرشة أسنان ، ولا سرير أيضا ، ذلك أن المرء لا ينام ابدا. أليس كذلك ؟

الخادم : هو كذلك ؟

جارسان : كما توقعت تماما ، ولماذا ينام المرء ؟ النعاس يمسك بك ، ويداعبك خلف اذنيك ، وتشعر بعينيك تغمضان ، ولكن ما الداعى الى النوم ؟ انك تستلقى على الاريكة ، وفى طرفة عين ، يطير النوم من عينيك ، ويدلك المرء عينيه ، وينهض ، ثم يبدأ كل شىء من جديد .

الخادم : يالك من رومانسى !

جارسان : هل تتكرم بالصمت . لن اثير شجارا ، ولن اشعر بالاسف على نفسى ، وسأواجه الموقف كما قلت الآن توا . أواجهه بعدل وانصاف . لن أسمح له بأن ينقض على من الخلف دون أن أتمكن من تقييمه ، وتسمى هذه رومانسية ؟ لقد وصل بنا الحال الى هذا اذن ، ان المرء لايحتاج الى

الراحة ، لماذا يهتم المرء بالندم اذا لم يكن يشـعر بالنعاس ؟ ان هذا يتمشى مع العقل ، اليس كذلك؟ انتظر لحظة ، هناك تعقيد ما ، شيء كريه ، والآن لماذا هو كريه ؟ آه .. فهمت : انها الحياة المتصلة التى لا انقطاع فيها !

الخادم : ماذا تعنى بهذا ؟

جارسان : ماذا أعنى ؟ (ينظر الى الخادم بريبة) كنت واثقا من ذلك . وهذا مايفسر لنا ذلك الشيء الغظ القليل الحياء الذى يتجلى فى طريقة نظرتك الى . انهما مشلولتان !

الخادم : عن اى شيء تتكلم ؟

جارسان : عن جفنيك ، اننا نحرك جفوننا الى أعلى والى اسفل ، وذلك بطرفة العين ، انهما أشبه بمصراع صغير أسود ، ينسدل فيتحقق الاقتطاع ، ويتلاشى كل شيء ، وتندى العينان ، انك لاتتصور الى اى حد ينعشنا ذلك ويريحنا، أربعة آلاف فترة راحة فى الساعة ، تخيل ! هذا هو المقصود اذن ، أن اعيش بلا أجفان . لاتتظاهر بالغباء ، انك تعلم ما أعنيه ، بدون جفون ليس هناك نوم ، انهما مترابطان .. اليس كذلك ؟ لن انام بعد اليوم . ولكن كيف يمكن لنفسى أن تطيق صحبة نفسى ؟ حاول أن تفهم ! اننى معتاد على أن اغيظ نفسى ؟

على أن اكدر نفسى ! اذا شئت ! فأنا لا احسن
الاغاظة ، ولكنى لا استطيع المزاح مع نفسى دائما
دون توقف : فهناك كان يقبل الليل ، وكنت انام،
كنت أنعم بالليل دائما ، كنـوع من التعويض فى
رايى . وكنت انعم بأحلام بسيطة ، كان هنـاك
حقل أخضر . مجرد حقل عادى كنت أتمشى فيه،
هل طلع النهار ؟

الخادم : الا تستطيع ان ترى ؟ ان المصابيح مضاءة .

جارسان : نعم ، فهمت ، هـذا هو نهـاركم ، ولكن فى
الخارج !

الخادم : (بدهشة) فى الخارج ؟

جارسان : عليك اللعنة ، انك تعرف ما اعنيه ، فيمـا
وراء ذلك الحائط !

الخادم : هناك ممر

جارسان : وفى نهاية الممر ؟

الخادم : هناك غـرف اخـرى ، وممرات اخـرى ،
وسلالم .

جارسان : وماذا يقع خلفها ؟

الخادم : لاشىء غير هذا .

جارسان : ولكنك تحصل على يوم عطلة بالتاكيد ، فاين
تذهب لتقضيه ؟

الخادم : لدى عمى الذى يعمل رئيسا للخدم هنا ، ان له حجرة بالطابق الثالث .

جارسان : كان يجدر بى ان أضمن ذلك ، أين مفتاح النور ؟

الخادم : ليس هناك مفتاح نور .

جارسان : ماذا ؟ ألا يمكن اطفاء النور ؟

الخادم : تستطيع الادارة ان تقطع التيار اذا ارادت ذلك، ولكننى لا أتذكر أنها فعلت ذلك قط فى هذا الطابق ، فالكهرباء عندنا مباحة دون قيد أو شرط .

جارسان : اذن يجب على المرء أن يعيش مفتوح العينين طوال الوقت ؟

الخادم : هل قلت ان يعيش ؟

جارسان : لاتحاور فى استعمال الالفاظ ، نعم .. مفتوح العينين والى الابد . سيكون الضوء وهاجا فى عينى على الدوام ، وفى راسى .. (فترة صمت) افرض اننى اخذت بهذه التقليعة التى فوق المدفأة ، والقيت بها على المصباح ، فهل ينطفىء ؟

الخادم : انها اثقل من أن تستطيع رفعها !

جارسان : (يتناول التحفة البرونزية بين يديه ، ويحاول رفعها) انت على حق ، انها ثقيلة جدا .

(يتبع ذلك فترة صمت)

الخادم : حسنا جدا ، مادمت قد أصبحت فى غير حاجة الى ، فانى سأتركك .

جارسان : ماذا ؟ انت ذاهب ؟ (الخــــادم يصــل الى الباب) انتظر (الخادم يلتفت) هذا رنين جرس ، اليس كذلك ؟ (الخادم يومىء برأسه) وأنت ملزم بالمجىء اذا دققت الجرس ؟

الخادم : حسنا ، نعم . هذا صحيح ، بمعنى ما ، ولكنك لا تستطيع الاعتماد على الجرس أبدا فهناك بعض الخلل فى الاسلاك ، وهو لايعمل دائما .

(يذهب جارســان الى الجرس ، ويضــغط على الزر ، فيدق الجرس فى الخارج) .

جارسان : انه يعمل جيدا .

الخادم : (مندهشا) انه يعمل (يدق الجرس بدوره) ولكن لو أننى كنت مكانك لما اعتمدت عليه كثيرا ، انــه ذو نزوات ، حسنا ، ينبغى على الآن ان اذهب .

جارسان : (يقوم بحركة لاحتجازه)

الخادم : نعم ، ياسيدى ؟

جارسان : كلا ، لاشىء .. (يذهب الى المدفأة ، ويتناول من فوقها قطاعة ورق) ماهذا ؟

الخادم : الا ترى ؟ قطاعة ورق عادية .

جارسان : اتوجد كتب هنا .

الخادم : كلا

جارسان : اذن ، مافائدتها ؟ (الخادم يهز كتفيه) حسن، تستطيع ان تذهب .

(الخادم يخرج)

(جارسان وحده ، يذهب الى التحفة البرونزية، ويتحسسها بيده فى تأمل ، يجلس ، ثم ينهض. يذهب الى الجرس ، ويضغط على الزر : الجرس لايدق ، يحاول مرتين او ثلاث مرات ، ولكن عبثا ، حينئذ يحاول فتح الباب ، دون نجاح أيضا ، ينادى الخادم عدة مرات ، دون نتيجة ، يدق الباب بقبضتيه وهو لايزال ينادى :

جارسان : ايها الخادم ! ايها الخادم !

(يهدأ فجأة ، ويذهب للجلوس ، وفى هذه اللحظة يفتح الباب ، وتدخل اينيز يتبعها الخادم)

الخادم : هل ناديتنى ؟

جارسان : (على وشك ان يجيبه بنعم ، ولكنه يرى اينيز) كلا .

الخادم : (ملتفتا الى اينيز) هذه هى غرفتك، ياسيدتى. (صمت من اينيز) اذا كان لديك أسئلة لتوجيهها الى ..؟) اينيز تلوذ بالصمت ، ويبدو الخادم حانقا بعض الشىء) من المعتاد أن معظم نزلائنا يحبون الاستفسار ، ولكننى لن ألح . على أية

حال ، فيما يتعلق بفرشة الاسنان ، والجرس ، وذلك الشيء فوق رف المدفأة ، فان السيد يستطيع ان يخبرك بأى شيء تريدين معرفته . لقد تحادثنا قليلا .. هو وأنا ..

(يخرج . جارسان لا ينظر الى اينيز التى تنظر فيما حولها ، ثم تتجه فجأة نحو جارسان)

اينيز : اين فلورانس ؟ (جارسان لا يجيب) أسألك اين هى ؟

جارسان : لا ادرى .

اينيز : آه .. هذه هى الطريقة التى تتبعونها ! التعذيب عن طريق التفرقة ! حسن ، لقد طاش سهمك ، فقد كانت فلورانس فتاة تافهة معتوهة ، وان افتقدها على الاطلاق .

جارسان : ارجوك ، الا تؤاخذينى : ما تظنينى ؟

اينيز : انت . انت الجلاد بالطبع .

جارسان : (يبدو مذعورا ، ثم ينفجر بالضحك) هذه نكتة طريفة ، نكتة مضحكة لدرجة لاتقوى عليها الكلمات .. انا الجلاد ! اذن فقد دخلت ، ونظرت الى ، وقلت فى نفسك اننى احد اعضاء الهيئة . ان هذا بالطبع خطأ ذلك الشخص الغبى ، فقد كان عليه أن يقدم كلا منا الى الآخر . جلاد .. حقا ! انا يوسف جارسان ، ومهنتى الأدب ،

وحيث اننا فى نفس الموقف ، فيمكنني ان اسألك انت السيدة ...؟

اينيز : (بجفاء) لست سيدة ، فلست متزوجة .

جارسان : حسن جدا ، هذه بداية على اية حال ، إذن لقد زالت من بيننا كل كلفة ، هل تظنين حقا أننى ابدو جلادا ؟ على فكرة .. وبأى علامة يستطيع المرء أن يتعرف على الجلادين ؟ عندما ينظر اليهم .؟ من الواضح ان لديك افكارا عن هذا الموضوع .

اينيز : تبدو عليهم سيما الخوف .

جارسان : الخوف ؟ ان هذا مضحك .. وممن يخافون؟ من ضحاياهم ؟

اينيز : اضحك ، ولكننى اعرف معنى ما اقول . فلطالما نظرت الى وجهى فى المرآة .

جارسان : فى المرآة ؟ (ينظر فيما حوله) انهم وحوش، فقد ازالوا من هنا كل مايمكن ان يمت الى المرآة بشبه . (صمت قصير) على اية حال ، استطيع ان أؤكد لك بأننى لست خائفا ، لا لانى استهين بالموقف ، كما انى أدرك خطورته تماما ، ولكنى لست خائفا .

اينيز : (تهز كتفيها) هذا امر لا يهم احدا سواك ، (صمت) هل تظل هنا طوال الوقت ، أو هل تخرج لجولة من آن لآخر ؟

جارسان : الباب مغلق بالقفل .

اينيز : اوه ، هذا امر بالغ السوء !

جارسان : انى افهم جيدا أن يكون فى وجودى مايضايقك وأنا شخصيا كنت أفضل ، بصراحة ، ان اظل وحدى ، اذ يجب على أن اتدبر بعض الامور ، وأن انظم حياتى ، والمرء يحسن فعل هذا عندما يكون وحده . ولكنى واثق من اننا نستطيع الاتفاق معا بشكل ما ، فأنا لا أتكلم ، ولا أكاد أتحرك ، وأنا فى الواقع شخص مسالم ، ولكن .. اذا استبحت لنفسى تقديم اقتراح واحد ، يجب علينا أن نراعى منتهى التهذيب فى علاقاتنا ، فهذا سيخفف من الموقف بالنسبة لكل منا .

اينيز : انا لست مهذبة .

جارسان : اذن سأعمل على أن يكون نصيبى من التهذيب كافيا لنا نحن الاثنين .

(فترة صمت طويلة ، جارسان جالس على الأريكة ، اينيز تقطع الغرفة جيئة وذهابا)

اينيز : الا تستطيع ايقاف فمك ؟ أن يدور تحت انفك كالخذروف ، انه مسخ مضحك .

جارسان : اسألك العفو ، فانى لم أشعر بذلك .

اينيز : وهذا ما آخذه عليك بالضبط ، (يختلج فى جارسان) هاأنذا .. انك تتكلم عن التهذيب

وفى الوقت نفسه لا تحاول حتى أن تتحكم فى وجهك ، تذكر انك لست وحدك هنا ، وليس من حقك أن تحملنى تبعة منظرك .

جارسان : (ينهض ويذهب نحوها) وماذابشأنك انت ؟ الست خائفة ؟

اينيز : وما جدوى هذا ؟ كان الخوف مقبولا «من قبل» عندما كان لايزال لدينا أمل .

جارسان : (بصوت خافت) لم يعد لدينا أمل ، ولكننا مازلنا فى اول الطريق ، اننا لم نبدأ بعد فى تكبد الآلام .

اينيز : هذا صحيح (فترة) حسن ؟ ماذا سيحدث ؟

جارسان : لاادرى ، هاانذا انتظر .

(فترة صمت ، جارسان يعود للجلوس . واينيز تستأنف سيرها ، يختلج فم جارسان ، وبعد أن يلقى نظرة على اينيز يدفن وجهه بين راحتيه ، تدخل استيل والخادم ، استيل تنظر الى جارسان ، الذى لايزال وجهه مدفونا فى راحتيه) .

استيل : (لجارسان) لا ! لا ترفع راسك ، انا أعرف ماذا تخفى بيديك ، انك اصبحت دون وجه . (جارسان يجذب يديه) ماذا ؟ (صمت قصير ، ثم بنغمة دهشة) لكننى لا اعرفك !

جارسان : لست الجلاد ياسيدتى .

استيل : لم اظنك الجلاد ، ولكنى اعتقدت ان احدا يريد ان يمزح معى مزحة سخيفة (للخادم) اتنتظر احدا آخر .

الخادم : لاياسيدتى ، لن يأتى احد آخر .

استيل : (تشرع فى الضحك) أوه ، اذن سنظل وحدنا ، نحن الثلاثة . هذا السيد ، وهذه السيدة ، وأنا ؟

جارسان : (بغضب) ليس هناك مايدعو الى الضحك .

استيل : (مواصلة ضحكها) انها تلك الارائك ، انها قبيحة جدا ، ثم انظروا كيف رتبوها انها تجعلنى افكر فى عيد راس السنة ، وكأنى فى زيارة لدى عمتى مارى ، وبيتها ملىء بمثل هذه المرعبات ، كل منا له اريكته على ما اظن ، اهذه اريكتى ؟ (للخادم) ولكنك لاتنتظر منى أن أجلس على تلك الاريكة ، ان هذا افظع من أن تعبر عنه كلمات ، فستانى فاتح اللون ، وهى خضراء فاقعة الخضرة

اينيز : هل تفضلين اريكتى ؟

استيل : تلك الحمراءالداكنة ؟ هذا تلطف منك ، ولكننى لا اظنها حقا تمتاز عن الاخرى وماجدوى التلق على أية حال ، علينا ان نتقبل مايحل بنا ، وسأتقبل

الاريكة الزرقاء (فترة صمت) الاريكة الوحيـدة التى تناسـبنى مـع شىء من التجاوز هى أريكة السيد (فترة صمت أخرى) .

اينيز : اتسمع ياسيد جارسان ؟

جارسان : (مذعورا) .. ال .. اريكة ، أوه ! لامؤاخذة (ينهض) انها لك ياسيدتى .

استيل : شـكرا . (تنتزع معطفهـا ، وتلقى بـه على الاريكة ، فترة صمت ، والآن يجدر بنا أن نتعارف مادمنا سنقيم معا ، أنا استيل ريجو (جارسان ينحنى ويوشـك أن يذكر اسـمه ، ولـكن اينيز تتقدم أمامه) .

اينيز : وانا اينيز سرافو ، يسعدنى لقاؤك .

جارسان : (ينحنى مرة ثانية) يوسف جارسان .

الخادم : اانتم فى حاجة الى ؟

استيل : كلا ، يمكنك أن تذهب ، سأدق لك الجرس عند اللزوم .

(الخادم ينحنى بأدب لكل منهم ، ويخرج)

اينيز : انت جميلة جـدا ، كنت أتمنى لو اتيحت لى بعض الزهور لأرحب بقدومك .

استيل : الزهور ؟ نعم ، كنت احب الزهور ، لكنها هنا تسارع بالذبول ، اليس كذلك ؟ فالجـو خـانق

جدا ، ماعلينا ، أن أعظم مايمكننا أن نفعله . هو أن نحتفظ بمرحنا قدر استطاعتنا ، الا توافقيني ؟ وانت ايضا بالطبع ..

اينيز : نعم ، منذ أسبوع ، وانت ؟

استيل : أنا ؟ حديثة العهد جدا ، منذ الامس والحق انهم لم ينتهوا من الاحتفال بعد . (تتكلم بصورة جد طبيعية ، ولكن كما لو كانت ترى ماتصفه) الريح تثير نقاب أختي فوق المكان كله ، وأختي تحاول بكل جهدها ان تبكي ، هيا يا عزيزتي ، ابذلي محاولة اخرى ، هذا أفضل ، دمعتان ، دمعتان صغيرتان تلمعان تحت النقاب الاسود ، ما أقبح الجارة في هذا الصباح ، إنها تأخذ بذراع أختي لتسندها وهي لا تبكي ، وأنا لا ألومها ، فالدموع تشوه وجه الواحدة ، اليس كذلك ؟) لقد كانت أعز صديقة لي .

اينيز : هل تألمت كثيرا ؟

استيل : كلا ، بل كنت في الاغلب نصف واعية !

اينيز : ومم كنت تتألمين ؟

استيل : التهاب رئوي (بنفس نغمتها السابقة) لقد انتهى الامر الآن ، وهاهم يغادرون الجبانة ، وداعا! وداعا (جمهور كبير ، لقد بقي زوجي بالمنزل ، وقد انهكه الحزن ، ذلك الرجل المسكين . (مخاطبة اينيز) وماذا بشأنك ؟

اينيز : موقد الغاز

استيل : وانت ياسيد جارسان ؟

جارسان : اثنتا عشر رصاصة فى الصدر . (اشارة فزعة من استيل) لا مؤاخذة ، فلست من الأموات الذين تطيب صحبتهم .

استيل : ارجوك ، ارجوك ، لاتستعمل تلك الكلمة ، انها، انها تؤذى الشعور ، قلة ذوق متناهية فى الحقيقة، وهى لاتعنى الكثير على اية حال ، لعلنا لم نكن اكثر حياة مما نحن الآن . واذا لم يكن بد من ذكر هذه الحالة ، فانى اقترح ان نسمى انفسنا ، انتظر ، غائبين ! اغائب انت منذ زمن طويل ؟

جارسان : منذ حوالى شهر .

استيل : ومن اين انت ؟

جارسان : من ريو

استيل : وانا من باريس ، هل لايزال لك أهل هناك ؟

جارسان : نعـم ، زوجتى . (بنفس النغمـة التى كانت استيل تستعملها) انها تنتظر عند مدخل الثكنات ، وهى تحضر كل يـوم ، ولكنهم لايسـمحون لهـا بالدخول ، هاهى ذى تتبصص من خلال القضبان ، لم تعلم بعد انى غائب ، ولكنها تشك فى ذلك ، والآن ، هاهى ذى تنصرف ، انهـا تلبس ثوبهـا الاسود ، وهذا خير ، لان ذلك سيوفر عليها تغيير

ملابسـها ، انها لاتبكى ، ولم تكن تبكى على أيـة حال ، الشمس ساطعة ، وهى تسير وحـدها فى الشارع المهجور بملابسها السوداء ، تلكما العينان الواسعتان الحزينتان ، وتلك النظرة الشهيدة التى ترتسم فيهما دائما ، اوه ، كم كانت تضايقنى !

(فترة صمت ، جارسـان يذهب للجـلوس على الأريكة الوسطى ، يدفن وجهه بين راحتيه) .

اينيز : استيل

استيل : من فضلك ياسيد جارسان !

جارسان : نعم ؟

استيل : انت جالس على اريكتى

جارسان : عفوا (ينهض)

استيل : كان يبدو عليك الاستغراق ، آسفة لانى اقلقتك

جارسان : كنت انظم حياتى (تشرع فى الضـحك) يحسن بمن يضحكون ان يفعلوا كما افعل .

أينيز : لست فى حاجة الى ذلك ، فحياتى منظمة تمام التنظيم ، انها نظمت من تلقاء نفسها ، فلست فى حاجة لان اشغل نفسى بها الآن .

جارسان : حقا أتظنين ان الامر بهذه السهولة ، (يمـر بيده على جبهته) ماأشد الحر ! هل تسمحون لى بأن ...؟ (يشرع فى خلع سترته)

استيل : كيف تجرؤ على هذا (بلهجة أكثر رقة) لا ، ارجوك الا تخلعها (انا لا اطيق رؤية الرجال وهم بالقمصان .

جارسان : (وهو يرتدى سترته من جديد) حسنا (فترة صمت) بالطبع كنت أقضى الليل فى مكتب الجريدة، ولهذا لم نكن نرتدى ستراتنا ، فالجو هنا حار خانق . (فترة صمت ، وبنفس النغمة السابقة) الجو خانق ، لقد حل الليل الآن .

استيل : نعم ، وهاهى ذى أولجا تنزع عنها ملابسها ، لابد ان الوقت جاوز منتصف الليل ، ماأسرع مرور الوقت على وجه الارض ؟

اينيز : نعم ، بعد منتصف الليل ، وقد وضعوا أختام الشمع على باب غرفتى ، والغرفة تبدو خالية فى الظلام الداكن .

جارسان : لقد وضعوا جاكتتاتهم على ظهور كراسيهم ، وشمروا اكمامهم الى مافوق المرافق ، الجو شبع برائحة البشر والسيجار ، (فترة صمت قصيرة) كنت احب العيش بين الرجال وهم خالعون ستراتهم .

استيل : (بعدوانية) معنى ذلك اننا مختلفان فى الاذواق ، هذا ما يبرهن عليه ذلك ، (تستدير نحو أينيز)

أتحبين ذلك ؟ أتحبين الرجـــال وهم خـالعون ستراتهم ؟

اينيز : أنا لا أحب الرجال كثيرا على اية حال .

استيل : (تنظر اليها مبهوتة) الحـق انني لا افهم لـماذا جمعوا بيننا ، ليس لهذا معنى .

اينيز : (وهى تخنق ضحكة) ماذا تقولين ؟

استيل : انني انظر اليكما ، وافكر فى اننا سنعيش سويا، هذا مضحك جدا ، كنت اتوقـع أن اجـد بينكم أصدقاء قدامى ، أو اقارب !

اينيز : نعم ، صديق قديم جذاب ، فى وسـط وجهـه ثقب .

استيل : نعم ، وهذا ايضا كان يرقص التانجو بقدسيته كأحد المحترفين ، ولكن لماذا ؟ لماذا جمعونا معا دون كل الناس ؟

جارسان : محض صدفة .. فى رأيى ، فهم ينزلون الناس حيث يستطيعون تبعا لترتيب وصولهم لاينيز ، لماذا تضحكين ؟

اينيز : لأن . صدفتك ، هـذه تثير ضـحكى ، كأنهم يتركون شيئا للصدفة ، ولكننى اظن انك يجب ان تؤكد لنفسك شيئا بطريقة ما .

استيل : (بتردد) انني اتساءل الآن ، الا يمكن ان نكون قد تقابلنا معا فيما مضى ؟

اينيز : مطلقا ، لو حدث ذلك لما كنت قد نسيتك .

استيل : او ربما كان لنا بعض المعارف المشتركين ، الا تعرفين آل ديبوا سيمور ؟

اينيز : ليس هذا جائزا .

استيل : ولكن كل واحد كان يذهب الى حفلاتهم .

اينيز : ماذا يعملون ؟

استيل : انهم لايعملون شيئا ، بل يملكون قصرا جميلا فى الريف ، وتزورهم مجموعات من الناس .

اينيز : ... انا لم اكن ازورهم ، انني اعمل كاتبة فى مكتب بريد .

استيل : (بشيء من التراجع) آه ؟ اذن ، بالطبع ! (فترة صمت) وأنت ياسيد جارسان ؟

جارسان : اننا لم نلتق قط ، فقد كنت أعيش دائما فى ريو .

استيل : فى هذه الحال ، اعتقد انك محق كل الحق ، فهى مجرد الصدفة التى جمعت بيننا .

اينيز : مجرد الصدفة ! اذن فهذا الأثاث هنا من باب الصدفة ، والصدفة هى التى ادت الى وضع الأريكة الخضراء الفاقعة على اليمين ، والأريكة الحمراء الداكنة على اليسار .. مجرد الصدفة اذا صح ذلك ، فحاولى اذن أن تثيرى اماكنها

وسترين الفرق بسرعة ، وذلك الشيء فوق المدفأة هل تظنين انها الصدفة أيضا ؟ وتلك الحرارة التي تشيع هنا ؟ (فترة صمت) قلت لكم انهم رتبوا كل شيء ، حتى أتفه التفاصيل ، لم يتركوا شيئا للصدفة ، فهذه الغرفة قد رتبت لنا .

استيل : ولكن حقا ؟ ان كل ماهناك قبيح ، صارم ، مليء بالزوايا ، وقد كنت دائما أكره الاشياء ذات الزوايا .

اينيز : (تهز كتفيها) وهل تظنين انى كنت أعيش فى صالون من طراز الامبراطورية الثانية ؟

استيل : اذن فكل شيء قد رتب من قبل ؟

اينيز : نعم ، وقد وضعونا معا عن عمد .

استيل : اذن ، ليس من باب الصدفة أن تكونى . أنت ، فى مواجهتى «أنا» ؟ ولكن ، ما المقصود بهذا كله ؟

اينيز : اسأليني عن أي شيء آخر ، انني أعلم فقط انهم ينتظرون .

استيل : أنا لا أطيق أن يتوقع أحد مني شيء ما ، فانذلك يغريني بأن افعل عكس مايتوقع .

اينيز : اذن افعلى ذلك ، افعليه أذا كان فى استطاعتك، فانت لاتعرفين حتى ماينتظرون منك .

استيل : (تدق الارض بقدميها) هذا فظيع ! ولابد ان يحدث لى شىء ما على أيديكما ؟ (تنظر اليهما على التوالى) شىء كريه فى رأيى ، فهناك وجوه تفصح لى عن كل شىء فى الحال ، أما وجهاكما فلايقولان لى شيئا) .

جارسان : (مخاطبا اينيز فجأة) اسمعى! لماذا نحن هنا معا ؟ لقد لمحت بما فيه الكفاية . ويجدر بك أن تفصحى عن الحقيقة .

اينيز : (مندهشا) ولكنى لا أعرف عنه شيئا . لا أعرف شيئا على الاطلاق عن هذا ، اننى أجهــل كل شىء مثلكما .

جارسان : لابد أن نعرف (يفكر لحظة) .

أينيز : لو توفر لكل منا من الشجاعة ما يدفعه الى أن يقول . .

جارسان : ماذا ؟

اينيز : استيل ؟

استيل : نعم ؟

اينيز : ماذا فعلت ؟ أعنى لماذا بعثوا بك الى هنا ؟

استيل : (بسرعة) هــذا هو السؤال بالضبط ، ليست لدى اية معلومة ، ولا اقل معرفة ، لاأعرف شــيئا مطلقا ، بل كثيرا ماأسأل نفسى عما اذا لم يكونوا قد بعثوا بى هنا من باب الخطأ . (الاينيز) لا تبتسمى .

وتاملى عدد الناس الذين .. الذين يغيبون فى كل يوم . انهم يأتون الى هنا بالآلاف المؤلفة ومن المحتمل انهم يفرزون بواسطة صغار الموظفين ، هل تعرفين ماأعنيــه .. الموظفون الاغبيــاء الذين لايعــرفون عملهم ، فكيف تريدين بعد كل هــذا الا تقع بعض الاخطاء ؟ كفى ابتساما (لجارسان) لماذا لا تتكلم ، اذا ثبت أنهم اخطأوا فى حالتى فلايبعــد أن يكونوا قد اخطأوا فى حالتك أيضا (لاينيز) وأيضــا فى حالتك ، وعلى اية حال ، الا يجــدر بنا أن نعتقد بأننا جئنا الى هنا خطأ ؟

أينيز : اهذا كل ما تريدين أن تقوليه لنا ؟

استيل : وماذا اقول غير هذا ، ليس لدى ماأخفيه ، فقدت أبوى عندما كنت طفلة ، وكان على أن أقوم بتربية أخى الصغير . كنا فقراء مدقعين ، وعندما تقــدم الى صديق عجوز من أصــدقاء أبى وطلب يدى ، قلت نعم ، كان ثريا طيب القلب ، وكان أخى طفلا معتل الصحة ،وكانت صحته تتطلب كل عناية، ولهذا فقد كان كل مافعلته هو الصواب حقا ، الا تتفقون معى فى الراى ؟ كان زوجى من الكبر بحيث يمكن أن يكون والدى ، وعشنا معا ست سنين لم يكدر صفوها شىء ، ومنــذ سنتين تقابلت مــع الشخص الذى كان مقدرا لى أن أحبه ، عرفنا ذلك فى نفس اللحظة التى رأى فيها كل منا الآخــر ،

وطلب منى ان أهرب معه ، ولكنى رفضت . وبعد ذلك أصبت بالالتهاب الرئوى ، وقضت الاصابة على .. هذا كل مافى الامر . وربما اخـذ على ، باسم بعض المبادىء ، انى ضحيت شبابى مع رجل عجوز ، بلغ من العمر ثـلاثة اضـعاف عمرى .
(مخاطبة جارسان) اتظن انى ارتكبت خطأ ؟

جارسان : كلا ، بالتأكيد (فترة صمت) والآن ، اخبرينى ، اترين من الخطأ أن يحيـا الانسـان من أجـل مبادئه ؟

استيل : بالطبع لا ، لايستطيع احد بالتأكيد أن يلومك على هذا !

جارسان : انتظرى لحظة ، كنت ادير صحيفة تدعو الى السلام ، واندلعت الحرب ، فماذا افعل ؟ كانت كل الانظار موجهة نحوى : «هل يجرؤ ؟» نعم .. لقـد جـرؤت ، عقـدت زراعى ، واطلقوا على الرصاص . فهل ارتكبت خطأ ؟

استيل : (تضع يدها على ذراعه) خطأ ! بالعكس ، فقـد كنت ..

اينيز : (تقاطعهـا متهكمة) بطلا .. وماذا عن زوجتك ياسيد جارسان ؟

جارسان : هذا امر بسيط ، لقد انتشلتها من الوحل .

استيل : (لاينيز) اترين ! اترين !

اينيز : نعم، أرى. (صمت) اسمعى ، ما جدوى التمثيل، ومحاولة ذر الرماد فى أعين أحدنا الآخر ، اننا جميعا قد طلينا بالزفت .. بنفس الفرشاة .

استيل : (بغضب) كيف تجرؤين ؟

اينيز : نعم ، اننا مجرمون ، قتلة ، اننا جميعا فى جهنم ياأصدقائى ، وهم لايخطئون ، ولايمكن ادانة الناس دون سبب .

استيل : اسكتى ، بحق السماء .

اينيز : فى جهنم ! ارواح ملعونة ، هـذا نحن ، ثلاثتنا !

استيل : اسكتى ، انى أمنعك من استعمال هذه الالفاظ المقززة

اينيز : روح ملعونة ، هذا انت، ايتها القديسة الملاطية، ومجرم أيضا صديقنا الذى يقع هناك ، داعية السلام النبيل ، لقد كان لنا وقت ملذاتنا ، أليس كذلك ؟ كان هناك أناس أحرقوا ارواحهم من أجلنا حتى الممات ، وكنا نجد فى ذلك سلوى لنا ، فعلينا الآن ان ندفع الثمن .

جارسان : (رافعا قبضته) أغلقى فمك ، عليك اللعنة !

اينيز : (تواجهه دون خوف ، لكن بدهشة هائلة) حسنا ، حسنا (فترة صمت) انتظر ، لقد فهمت الآن ، وأعرف الآن لماذا وضعونا معا ! ...

جارسان : نصيحتى اليك ان .. ان تفكرى جيدا قبل أن تضيفى شيئا الى اقوالك .

اينيز : انتظر : سترون كيف ان الأمر بسيط ، بسيط الى أقصى حد ، من الواضح أنه ليس هناك عذاب جسمانى ، انتما متفقان معى ، أليس كذلك ؟ ومع ذلك فنحن فى جهنم ، ولن يأتى أحد بعدنا لن يأتى أى أحد ، وسنظل فى هذه الغرفة معا حتى النهاية ، ثلاثتنا ، الى ابد الآبدين ! وقصارى القول انه ينقصنا هنا شخص واحد ، هو شخص الجلاد .

جارسان : (بصوت منخفض) لقد لاحظت ذلك .

اينيز : ومن الواضح انهم يهدفون بذلك الى الاقتصاد فى القوى البشرية ، أو القوى الشيطانية ، وهذا معناه أن العملاء هنا يخدمون أنفسهم بأنفسهم ، كما هى الحال فى المطاعم التى يخدم الزبائن فيها انفسهم .

استيل : ماذا تعنين بذلك ؟

اينيز : أعنى ان كلا منا جلاد للاثنين الآخرين .

(فترة صمت قصيرة ، بينما يتأملون المعلومة التى سمعوها)

جارسان : (بصوت حنون) لا ، لن أكون جلادكما ، ولست أريد بأيكما أى شر ، ولا تربطنى بكما أية علاقة ،

اية علاقة على الاطلاق . فالحل فى غاية البساطة .
ليبق كل منا فى ركنه ، ولايلق بالا الى الآخرين ؛
أنت هنا ، وانت هنا ، وأنا هنا مثل جنود فى
مواقعنا ، ولنلتزم الصمت التام ، دون أن ننبس
بكلمة واحدة ، ليس هذا بالامر الصعب ، فكل منا
له من أمور نفسه مايكفى لشغله عن الآخرين .
وانا شخصيا اعتقد أنى استطيع البقاء عشرة آلاف
سنة دون كلام .

استيل : أيجب على أن الوذ بالصمت . انا ايضا ؟

جارسان : نعم ، وبذلك ، وبذلك نصل الى خلاصنا ،
أن ينظر كل منا الى نفسه ، والا نرفع رؤوسنا
ابدا ، موافقون ؟

اينيز : موافقة .

استيل : (بعد تردد) موافقة .

جارسان : اذن ، الوداع !

(يذهب الى أريكته ، ويضع راسه بين راحتيه ،
صمت طويل ، تشرع اينيز فى الغناء لنفسها) .

ياله من جمهور غفير فى حارة هوايت فرايرز !
اقيمت الانصاب صفا واحدا
بمقصلة وسكين ،

ووضعت النحالة فى الدلو ،
تعالوا ، أيها الناس الطيبون ، الى حارة هوايت
فرايرز !

تعالوا لتروا العرض المرح .
استيقظ الجلاد عند طلوع الفجر
فلديه عمل كثير
ان يقطع رؤوس جنرالات
وأساقفة وأمراء للبحار
ياله من جمهور غفير فى حارة هوايت فرايزر !
انظر اليهم يقفون صفا
سيدات تحلين بأجمل الملابس
ولكن ينبغى أن تذهب رؤوسهن .
ان تسقط الرؤس والقبعات
تعالوا أيها الناس الطيبون الى حارة هوايت فرايزر
تعالوا لتروا العرض المرح .

فى هذه الوحدة ، ابحثا لى عن مرآة !
فى هذه الاثنـــاء ، تنشغل استيل بوضع شيء من المسحوق الابيض والاحمر ، تتطلع حولها ، وتبحث عن مرآة ، وعليها سيما القلق ، تفتش فى حقيبتها ، ثم تلتفت الى جارسان) .

استيل : عفوا ياسيدى ، هل معك مرآة ؟ (جـــرسان لايجيب) أى مرآة .. مرآة جيب تكفى ؟ (يظـل

جارسان صامتا لا يجيب) حتى اذا كنتما ستتركانى
فى هذه الوحدة ، ابحثا لى عن مرآة !

(جارسان يظل دافنا راسه بين راحتيه ، دون ان
يجيب)

اينيز : (باقبال) لاتقلقى، انا عندى مرآة فى حقيبة يدى،
(تفتش فى حقيبتها ، ثم تقول بغضب) لقد اختفت،
لابد انهم اخذوها منى عند باب الدخول .

استيل : شىء يضايق

(فترة صمت قصيرة ، تغمض عينيها وتترنح كما
لو كانت على وشـك الاغماء تسـارع اليها اينيز
وتسندها)

اينيز : ماذا بك ؟

استيل : (تفتح عينيها ، وتبتسم) اشعر بشعور غريب.
(تتحسس جسدها) الا تشعرين هـذا الشعور ،
حينما لاارى نفسى ، اروح اتساءل عمـا اذا كنت
موجودة حقا ام لا . فأتحسـس جسدى لأتأكد .
ولكن هذا لايجدى كثيرا .

اينيز : هـذا من حسن حظك ، اما انا فأحس بنفسى
دائمـا فى عقـلى ، اننى ادرك وجـودى بشـكل
مؤلم (

استيل : آه ! نعم ، من الداخل ، ان كل مايجرى داخل
الرؤوس يبدو لى مبهما ويدعونى الى النوم (فترة

صمت) هناك ست مرايا كبيرة فى غرفة نومى ، انى اراها ، ولكنهـــا لاترانى ، انهـــا تعكس الاريكة والسجادة والشباك.. ولكن ما اشدالفراغ فى مرآة لا اكون انا فيها ، فى مرآة لا أوجد انا فيها ! عندما كنت أتكلم مع الناس كنت اتأكد دائما من وجــــود مرآة قريبة ، كنت كلما تكلمت ، رتبت أمرى على أن أرى نفسى فيها ، كنت أراقب نفسى فيها وأنـا اتكلم ، وبطريقة ما كانت تجعلنى يقظــة .. ارانى كما يرانى الناس ، يالمسحوقى الاحمر . انا واثقة من انى وضعته فى غير تناسق ، لا ، اننى لاأستطيع ان استغنى ابد الآبدين عن مرآة .

اينيز : اترين أن أقوم لك مقـام المرآة ! تعـــالى .. زورينى ياعزيزتى ، هناك مكان لك على أريكتى .

استيل : لكن ... (تشير الى جارسان)

اينيز : اوه ، انه ليس مهما .

استيل : ولكننا سنؤذى مشاعر أحدنا الآخر ؟ وانتى التى قلت ذلك .

اينيز : ايبدو على انى اريد ان اوذى مشاعرك !

استيل : من يدرى ؟

اينيز : من المحتمل اكثر . انك انت التى ستسببين لى الأذى ، ولكن لا اهمية لذلك ، فانه اذا كان لابد لى من الالم ، فانى افضل أن يكون ألمى على يديك - يديك الجميلتين ، اجلسى ، اقتربى ، اقتربى أكثر

مـن ذلك ، انظـرى فى عينى ، أتـرين نفسـك فيهما ؟

استيل : أوه ، اننى هناك ! ولكننى ضئيلة جدا لدرجـه اننى لا ارى نفسى بوضوح .

اينيز : أما انا . فأراك ، اراك كلك ، والآن وجهى الى اسئلة ، وسـأكون اصدق من اى مرآة !

(استيل محرجة ، تلتفت الى جارسان كمـا لو كانت تطلب منه العون)

من فضلك ياسيد جارسان ، هل انت واثق من أن ثرثرتنا لاتضايقك ؟

(جارسان لايجيب)

اينيز : لاتقلقى بشأنه ، فكما قلت لم يعد له أى حساب ، اننا وحدنا ، فاسأليني !

استيل : هل احسنت وضع أحمر الشفاه ؟

اينيز : ارينى ، لقد تلطخت شفتاك قليلا .

استيل : كنت اشك فى ذلك ، من حسن الحظ أن (تلقى نظرة سريعة على جارسان) ان احـدا لم يرنى ، سأبدأ من جديد .

اينيز : هذا احسن ، كلا ، اتبعى خطوط شـفتيك ، انتظرى ، سأتولى انا ارشادك هـكذا .. الآن ، لابأس به .

استيل : مثل ماكان عليه حينما دخلت هنا منذ قليل ؟

اينيز : افضل من الاول ، اكثر قوة ، لقد اصبح فمك اليق بجهنم .

استيل : بالله ! وتقولين انك تحبيه ! كم يدفع الى الجنون ، الا استطيع رؤية ذلك بنفسى ؟ هل أنت واثقة ياآنسة سيرانو ، انه الآن على مايرام ؟

اينيز : الا تنادينني باينيز ؟

استيل : هل أنت واثقة انه على مايرام ؟

اينيز : انت جميلة ، يا استيل .

استيل : ولكن ، كيف اعتمد على ذوقك ؟ انه مثل ذوقى انا ، أوه ، كم هو مقزز ؟ ويكفى لان يدفع بالانسان الى الجنون .

اينيز : نعم ، لى نفس ذوقك ياعزيزتى ، لأننى أحبك انظرى الى ، ابتسمى ، فأنا ايضا لست دميمة ، الست افضل من المرآة ؟

استيل : أوه ، لاادرى ، الاحرى انك تخيفيننى ، اما صورتى فى المرآة فلم تكن تخيفنى ابدا كنت أعرفها جيدا بالطبع ،مثل شىء قمت بترويضه ، سأبتسم، وستذهب ابتسامتى الى اعمق أعماق عينيك ، حيث لايعلم الا الله ماذا سيحل بها .

اينيز : وما الذى يمنعك من استئناسى ؟ (تتبادلان النظرات ، استيل تبتسم بانبهار وخوف) اصغى

الى ، اريدك أن تنـــادينى باينيز ! لابد لنـا أن نتصادق .

استيل : يشق على أن ارفع الكلفة بينى وبين النساء .

اينيز : تقصدين بينك وبين موظفات البريد ، ما هذا . . تلك البقعة الحمراء السيئة اسفل خدك ؟ دمل ؟

اينيز : هنا ! هل تعرفين كيف يصطادون العصـــافير بمرآة ؟ انا مرآة العصافير ، ياعصفورتى الصغيرة، وأنت فى قبضة يدى ، لايوجد أى دمل ، ولا اثـر له ، ماذا ترين اذن ؟ اترين ماذا يكون الحال لو اخذت المرآة فى الكذب ؟ أو اذا اغمضت عينى كما يفعل هو ؟ أو رفضت النظر اليك ، اذن لضـــاع جمالك هباء فى هـواء الصـحراء ، لا . لاتخافى ، فلاأستطيع أن أمنع نفسى من النظر اليك ، ولن أحيد ببصرى عنـك ، وسـأكون لطيفة معك على احسن مايكون اللطف ، ولكن يجب أن تكونى انت أيضا لطيفة معى .

(صمت قصير)

استيل : هل أروق فى نظرك . . حقا ؟

اينيز : جدا . . فى الواقع .

(فترة صمت أخرى)

استيل : (مشيرة الى جارسان بحركة من رأسها) لكننى اود لو نظر الى هو الآخر .

اينيز : بالطبع ! لأنه رجل . (لجارسان) لقد كسب (جارسان لايجيب) لكن أنظر اليها ! (جارسان لايجيب) لاتتظاهر ، إنك لم تفتك كلمة واحدة مما قلناه .

جارسان : هذا حق ، لم تفتنى منه كلمة واحدة ، حاولت ان اضع اصابعى فى اذنى لكن اصواتكما كانت ترن فى رأسى ، ثرثرة سخيفة ، فهلاتتركانى الآن فى سلام انتما الاثنتان لاشأن لى بكما (

اينيز : لست مهتما بى يجوز ولكن .. هذه الطفلة . الست مهتما بها ، انك لم تتخذ صفة التعالى هذه الا لتجذبها اليك .

جارسان : قلت لك ان تتركينى فى سلام ، هناك شخص يتكلم عنى فى ادارة الجريدة ، واريد ان أصغى الى مايقول ، أما الصغيرة فانى لا أبالى بها ، اذا كان فى هذا مايسعدك .

استيل : شكرا !

جارسان : لم اكن اعنى بهذا ان اكون فظا .

استيل : ايها الحيوان !

(يقف الثلاثة كل منهم فى مواجهة الآخر فترة من الوقت)

جارسان : هانحن أولاء ! (لحظة) لقد توسلت اليكما أن تلوذا بالصمت .

استيل : كان الخطأ خطأها ، هى التى بـدأت ، فأنا لم أطلب شيئا منها ، وجاءت هى الى تقدم مرآتها .

اينيز : هـذا ما تقـولينه ، ولكنك كنت تحتكين به . وتجربين كل حيلة كى تغريه بالنظر اليك !

استيل : حسنا ، ولماذا لاينبغى ان افعل هذا ؟

جارسان : انتما مجنونتان ؟ الا تريان المنحدر الذى ننزلق اليه ، بحق الرافة اصمتا ، (لحظة) الآن نعود الى الجلوس بهدوء تام ، وسنغمض أعيننا ، ويحاول كل منا أن ينسى وجود الآخرين.

(هنيهة طويلة بعض الشيء ، يجلس ، تذهبان الى مكانيهما بخطى مترددة وتلتفت اينيز فجأة) .

اينيز : ان ننسى الآخرين ، ما هـذه الصبيانيات (ان شعورى بك ينفذ فى حتى العظام ، وصمتك يصرخ فى أذنى ، ولو استطعت ان تغلق فمك بالمسامير ، وان تجتث لسانك من بين فكيك ، ايمنعك ذلك من أن تكون موجودا هناك ؟ هل تستطيع أن توقف تيار افكارك ؟ اننى اسمعها تدق مثل الساعة .. تك .. تك .. تك .. تك ، وانا واثقة انك انت ايضا تسمع افكارى وعبثا تحـاول الانكماش على اريكتك ، ولكنك فى كل مكان ، وكل صـوت يتلوث لانك اوقفته اثناء عبوره ، لقـد سلبتنى كل شيء حتى وجهى ، فأنت تعرفه ، وأنا لا أعرفه ! وهى

.. استيل .. لقد سلبتني اياها ايضا ، فلو كنا
وحدنا ، أفتظن انها كانت تعاملنى بنفس الطريقة
التى تعاملنى بها الآن ؟ والآن أرفع يديك من فوق،
وجهك لانى لن أتركك فى سلام . ان هـذا الوضع
يلائم القراءة تماما ، فانك تظل قابعا فى مكانك فى
شبه غيبوبة حتى كانك تمثال من تماثيل بوذا ، وحتى
لو لم أرها ، لاحسست بها فى عظامى ، انها تأتى
كل صوت ، وكل حفيف من ملابسها من أجلك .
وهى تبعث اليك بابتسامات انت لاتراها ، لا ..
لن أطيق هذا ، انى اريد ان اختار جحيمى ، اننى
افضل ان انظر فى العينين وان اصارع سـافرة
الوجه .

جارسان : تصرفى كما يحلو لك ، وأنا أعتقد أنه لم يكن لنا
مفر من الوصول الى هذه الحال ، فقد كانوا يعرفون
كيف يصمتون ، ولكن ينبغى لى ألا أسرف فى طلب
المستحيل (يذهب نحو استيل ، ويداعب رقبتها
بخفة) اذن ، فأنا أجذبك ، ياصغيرتى ؟ يبـدو أنك
تغمزين لى بعينك ؟

استيل : لاتلمسنى .

جارسان : ولم لا ؟ يحسن بنا ، على أية حال ، أن نكون
طبيعيين ، هل تعرفين أننى كنت أهيم بالنساء ؟
وكان بعضهن يهمن بى ، فخذى اذن راحتك ، فلم
يعد لدينا مانخشى ضياعه ، فما الداعى الى الادب

واللياقة ، وما الى ذلك ؟ هذا بيني وبينك ! وعما قريب سنكون جميعا عرايا كأطفال ولدوا لتوهم .

استيل : دعني .

جارسان : كأطفال ولدوا لتوهم ، حسنا ، لقد حذرتكما على أية حال ، طلبت منكما أقل القليل ، لاشيء سوى الهدوء ، وقليل من الصمت ، وضعت أصابعي في أذني وكان جوميز يتكلم واقفا بين المناضد ، وكل الزملاء في الجريدة ينصتون اليه وستراتهم مخلوعة ، حاولت أن انصت ، ولم يكن ذلك سهلا .. فحوادث الارض تجرى بسرعة البرق ، الم يكن في وسعكما أن تصمتا ؟ الآن انتهى الامر ، لم يعد يتكلم ، وكل ماكان يدور في فكره عني قد عاد الى راسه ، والآن يجب علينا أن نسير الى النهاية ، عرايا كما ولدتنا أمهاتنا ، اريد أن أعرف مع من اتعامل ؟

اينيز : انت تعرف ذلك فعلا ، ولم يعد هناك مزيد لتعرفه .

جارسان : انت مخطئة ، طالما لم يعترف كل منا بالاسباب التي أدت الى الحكم عليه ، فاننا سنظل جاهلين بكل شيء ، ابدئي انت أيتها المراة الصغيرة .. لماذا؟ قولي لنا لماذا ؟ فان صراحتك ، والكشف عن أشباحنا ، تستطيع أن تجنبنا كثيرا من الكوارث . اذن تكلمي .. لماذا ؟

استيل : قلت لك اننى أجهـــل ذلك ، اذ لم يخبرونى بــه .

جارسان : انا اعرف هذا ، انهم لم يخبرونى انا الآخر . ولكن براسى فكرة لامعة ، أتخشين ان تكونى أنت البادئة بالكلام ؟ حسن ، سأبدأ انا (فترة) لست شخصا محترما جدا ،

اينيز : هذا معلوم ، كلنا نعلم انك فار .

جارسان : دعى ذلك ، فهذا أمر فرعى ، فأنا هنا لاننى عاملت زوجتى بفظاعة ، هذا كل مافى الامر . طوال خمسة أعوام ، ومازالت تعانى ، بطبيعة الحال ، هاهى ذى : لا اكاد اتكلم عنهـا حتى اراهـا . ان جوميز هو الذى يهمنى ، ولكن هى التى أرى . الى اى حد وصل جوميز ؟ طوال خمسة أعوام ، انظرا، لقد أعادوا اليها أشيائى ، وهى الآن جالسة قـرب الشباك ، وقـد وضعت سـترتى على ركبتيها ؛ السترة ذات الاثنى عشر ثقبا ، والدم يلطخها كأنه الصدأ ، وحواف كل ثقب تحيط بها دائرة حمراء. انها قطعة من قطع المتاحف ، تحمل ندوب التاريخ، تخيلا اننى كنت البسها !.. والآن ، هل تستطيعين أن تسكبى دمعة ياحبى ؟ سينتهى بك الامـر الى البكاء ، بالتأكيد ؟ انت غير قادرة على هذا ؟ كنت اعود إلى بيتى ثملا ، تفوح منى رائحـة النبيـذ والنسـاء ، كانت قد انتظرتنى طوال الليل ، ولم تكن

تبكى ، أو توجه الى كلمة عتاب واحدة ، بالطبع ، عيناها فقط كانتا تتكلمان ، عينـان واسعتان مأساويتان ، انا لا آسف على شيء ، لابد أن أدفع الثمن ، ولكنى لن أهتم . الثلج يتساقط فى الخارج ، الا تبكيان ؟ عليكما اللعنة ! انها امرأة خلقت لكى تكون شهيدة ، رسالتها فى الحياة أن تكون شهيدة (

اينيز : (بحنان تقريبا) ولماذا تسببت لها فى الآلام ، على هذا النحو ؟

جارسان : كان ذلك امرا سهلا ، كان يكفى ان أوجه اليها كلمة واحدة لكى يتغير لونها ، شأن أى نبات حساس ، ولم تكن توجه لى كلمة لوم واحدة ، فأنا مولع بالمشاكسة ، كنت اراقبها وانتظر ، لكنها لم تكن تذرف دمعة واحدة ، او تصدر كلمةاحتجاج . كنت قد انتشلتها من الوحل ، أتفهمان ؟ هاهى ذى تربت على السترة دون أن تنظر اليها ، تتحسس الثوب بأصابعها ، ماذا تنتظرين ؟ قلت لك اننى لا آسف على شيء ، الحقيقة أنها كانت معجبة بى الى اقصى حد ، هل يعنى هذا شيئا بالنسبة لكما ؟

اينيز : كلا ، لم يكن أحد يعجب بى .

جارسان : من حسن الحظ ، من حسن حظك ، لاشك أن كل ذلك يبدو لك من قبيل الاشياء ، المبهمة ،

ولكن اليك هذه الحكاية الصغيرة ، كنت قد انزلت في بيتي امرأة خلاسية ، وكانت زوجتي تنام في الطابق الاول ، ولابد أنها كانت تسمع كل شيء ، كانت أول من يغادر الفراش في الصباح ، بينما كنا نحن نفضل البقاء فيه حتى وقت متأخر ، ولذا كانت تحمل الينا قهوة الصباح .

اينيز : ايها الوحش (

جارسان : نعم ، وحش اذا شئت ، ولكن وحش محبوب (يبدو شاردا) كلا ، ليس هذا بالامر المهم ، هذا جوميز ولكنه لا يتكلم عني ، ماذا كنت تقولين ؟ وحسن ، طبعا وبالتأكيد ، والا فلماذا جئت الى هنا ؟ (مخاطبا اينيز) وانت ؟

اينيز : أما انا ، فقد كنت تلك التي يسمونها امرأة ملعونة ، ملعونة منذ زمن بعيد ، لم تكن مفاجأة أن أكون هنا !

جارسان : أهذا كل مافي الامر ؟

اينيز : كلا ، كانت هناك أيضا مسألة فلورانس ، ولكنها قصة رجل ميت ، قصة بها ثلاثة موتى ، هو اولا . ثم هي ، وأنا . لم يبق هناك أحد ، فأنا مطمئنة ، كان حصدا تاما، لم تبقَ الا تلك الغرفة ، اني اراها من حين لآخر ، خالية ومغلقة الابواب . لا ، لقد فتحوها توا «للايجار» ، أنها «للايجار» هناك لافتة على الباب ، أمر .. مضحك جدا .

جارسان : ثلاثة ! .. أقلت انهم ثلاثة موتى ؟

اينيز : ثلاثة

جارسان : رجل وامرأتان

اينيز : نعم .

جارسان : حسن ، حسن ، (فترة صمت) هل انتحر ؟

اينيز : هو ؟ لا ، لم تكن لديه الجراة اللازمة لهذا العمل، فقد اجتمعت لديه الاسباب ، ولكننا جعلناه يعيش عيشة الكلاب ، والحقيقة ، انه صدمه ترام ، نهاية سخيفة ! كنت اسكن معهما ، وكان هو ابن عمى .

جارسان : هل كانت فلورانس شقراء ؟

اينيز : شقراء ؟ (تلقى نظرة على استيل) يجب أن تعرف انني لا آسف على شيء ، ومع ذلك فانني لست حريصة على أن اقص عليكما هذه القصة .

جارسان : كما تشائين .. ! اذن فقد سئمته ؟

اينيز : شيئا فشيئا ، كانت تثيرني كل الأشياء ، فهو مثلا كان يحدث ضوضاء وهو يشرب ، صوت غرغرة ، تفاهات من هذا النوع ، كان مخلوقا مسكينا فى الواقع ، وهدفا للمطاعن ، لماذا تبتسم ؟

جارسان : على اية حال ، لانى لست هدفا للمطاعن .

اينيز : لاتبالغ فى ثقتك بنفسك ، لقـد تسللت داخـل نفسها ، فأصبحت ترى العـالم بعينى تركتـه وأصبحت عبئا على أنا ، فاستأجرنا غـرفة للنـوم والجلوس فى الطرف الآخر من المدينة .

جارسان : وحينئذ ؟

اينيز : وحينئذ ، وقع حادث الترام : وكنت أذكر حالها كل يوم قائلة : هيه .. أيتها الصغيرة ، لقد قتلناه فيما بيننا ، (فترة صمت) انى امرأة قاسية القلب فى الحقيقة !

جارسان : وأنا ايضا .

اينيز : كلا . انت لست قاسيا ، بل شيئا آخر .

جارسان : ماذا ؟

اينيز : سأخبرك فيما بعد . عندما اقول اننى شريرة فاننى أعنى أننى لاأستطيع الحياة دون ذلك ، انى أحتاج من أجل وجودى أن أجعل الآخرين يتألمون مثل جمرة متأججة ، جمرة فى قلوب الآخرين ، فاذا ماصرت وحدى انطفأت ، وقد اشتعلت فى قلبها طوال ستة شهور حتى لم يعد هناك الا الرماد . ذات ليلة إستيقظت ، وفتحت صنبور الغاز أثناء نومى ، ثم انسلت فى السرير ، الآن أنت تعرف كل شيء !

جارسان : حسنا .. حسنا !

اينيز : نعم ، ماذا يدور بخلدك ؟

جارسان : لاشيء ، سوى أن هذه ليست قصة ممتعة.

اينيز : طبعا ، ولكن ماذا يهم ؟

جارسان : كما تقولين ، ماذا يهم ؟ (مخاطبة استيل) وانت ؟ ماذا صنعت ؟

استيل : كما اخبرتكما ، انني لااعرف شيئا عن هذا الموضوع ، وعبثا احاول أن اشحذ ذهني .

جارسان : اذن ، سنساعدك ، هذا المخلوق ذو الوجه المحطم ، من هو ؟

استيل : اى مخلوق .. اى مخلوق تعني ؟

اينيز : أنت تعرفينه كل المعرفة ، ذلك الذى كنت تخافينه حينما دخلت الى هنا .

استيل : آه ، هو ! صديق لى !

جارسان : لماذا كنت تخافينه ؟

استيل : هذا شأني ، ياسيد جارسان

اينيز : هل قتل نفسه من أجلك ؟

استيل : كلا بالطبع ، كم انت سخيفة !

جارسان : اذن لماذا كان يخيفك ، لقد أطلق الرصاص على راسه ، اليس كذلك ؟ وهكذا حطم وجهه .

استيل : لاتواصل حديثك ! ارجوك الا تواصل حديثك !

جارسان : بسببك ! بسببك !

اينيز : رمى نفسه بالرصاص بسببك ؟

استيل : اتركانى فى حالى، ليس هذا .. ليس هذا عدلا ان تستفزانى هكذا ، أريد أن أغادر هذا المكان أريد أن أذهب !

(تندفع نحو الباب وتهزه بعنف)

جارسان : اذهبى اذا استطعت ، انا شخصيا لااتمنى خيرا من هذا ، ولكن الباب مغلق من الخارج .

(استيل تدق الجرس ، والجرس لا يرن ، اينيز وجارسان يضحكان ،استيل تستدير اليهما وتتكىء بظهرها الى الباب)

استيل : (بصوت أجش) انكما كريهان ، كلاكما .

اينيز : كريهان ؟ نعم .. هذه هى الكلمة المضبوطة الآن استمرى ، ذلك الشخص الذى قتل نفسه من اجلك ، كنت عشيقته ، هيه ؟

جارسان : بالطبع ، كانت عشيقته ، وكان يريدها لنفسه فقط ،أليس كذلك ؟

اينيز : كان يرقص التانجو كأحد المحترفين ، ولكنه كان فقيرا معدما ، أليس كذلك ؟

(فترة صمت قصيرة)

جارسان : هل كان فقيرا أم لا ؟ اعطنا اجابة مباشرة

استيل : نعم ، كان فقيرا .

جارسان : ثم كانت لك سمعتك التى كنت تريدين المحافظة عليها ، فجاءك ذات يوم ، وتوسل اليك أن تهربى معه ، فسخرت منه .

اينيز : هذه هى الحكاية ، سخرت منه ، وهكذا قتل نفسه ؟

استيل : أبهاتين العينين كنت تنظرين الى فلورانس ؟

اينيز : نعم .

(فترة ، ثم تنفجر استيل بالضحك)

استيل : انتما بعيدان عن حقيقة الامر كل البعد . (تعتدل فى وقفتها مع بقائها مستندة بظهرها الى الباب ، وتواجههمـا) كان يريد أن أنجب له طفلا . استر حتما الآن ؟

جارسان : وانت لم تكونى تريدين طفلا ؟

استيل : كلا ، بالتأكيد ، ومع ذلك جاء الطفل لسوء الحظ ، فذهبت الى سويسرا لقضاء خمسة اشهر ، ولم يسمع أحد بالخبر . وولدت بنتا ، وكان روجيه بجانبى حينما ولدتها ، وسر سرورا لا حد له حين اصبحت له بنت ، اما انا ، فلم أسر .

جارسان : وبعد ذلك ؟

استيل : كانت هناك شرفة تطل على بحيرة ، فأحضرت حجرا ضخما ، وكان يرى ماكنت أنوى عمله ،

فأخذ يصيح قائلا : «استيل ، لاتفعلى ذلك بحق الله» وعندئذ كرهته . ولقد رأى كل شىء ، كان مستندا الى جدار الشرفة ، فرأى دوائر الماء وهى تنداح .

جارسان : وبعد ذلك ؟

استيل : هذا كل مافى الامر ، رجعت الى باريس ، أما هو فقد صنع بنفسه ماأراد .

جارسان : تعتقدين أنه رمى نفسه بالرصاص ؟

استيل : كان عملا سخيفا من جانبه ، فى الحقيقة ، ولم يشك زوجى فى شىء قط . (فترة) انى أبغضكما .

(تنشج بلا دموع)

جارسان : لاجدوى ، فى هذا المكان لا تسيل الدموع .

استيل : أنا جبانة ، جبانة ! (فترة) لو علمتما مقدار البغض الذى أكنه لكما !

اينيز : (تأخذها بين ذراعيها) يا صغيرتى المسكينة ! (مخاطبة جارسان) لقد انتهى سماع الاقوال ، فلامعنى لان تظل محتفظا بهذه السحنة التى تشبه سحنة القاضى الجلاد ؟

جارسان : القاضى الجلاد ؟ (ينظر فيما حوله) أنا مستعد لدفع أى ثمن من أجل رؤية وجهى فى مرآة (فترة) ما أشد الحر ! (ينزع سترته بحركة آلية) أوه ، لامؤاخذة ! (يشرع فى لبسها من جديد)

استيل : لاتهتم ، تستطيع ان تظل بالقميص . أما وهذا هو الموقف . .

جارسان : تماما . (يرمى بسترته فوق الاريكة) لاتحنقى على يااستيل .

استيل : أنا لست حانقة عليك .

اينيز : وانا ؟ هل انت حانقة على ؟

استيل : نعم .

(فترة صمت)

اينيز : والآن ياسيد جارسان ؟ هانحن أولاء عرايا تماما امامك . هل زادك هذا علما ؟

جارسان : لاادرى ، ربما زادنى بعض الشيء . . (بخجل) الا يمكننا أن نحاول التعاون فيما بيننا ؟

اينيز : لست فى حاجة الى معونة .

جارسان : اينيز ، لقد احكموا وضع المصيدة بدهاء ، مثل بيت العنكبوت ، فاذا قمت بأقل حركة ، اذا رفعت يدك لتهوى بها على وجهك ، شعرنا ، استيل وانا ، بأثر الهزة ، لايمكن لأى منا أن ينجو وحده ، اننا مرتبطون ارتباطا وثيقا ، فاختارا (فترة) ماذا بك ؟

اينيز : لقد اجروها ، النوافذ مفتوحة على مصراعيها وهناك رجل جالس على سريرى ، سريرى عن

فضلك ! لقد اجروها ، اجروها ! أدخل ، أدخل . لاتتحرج أيها الوحش . آه ، هناك امراة أيضا ، هاهي ذى تتجه نحو الرجل ، وتضع يدها على كتفيه .. لماذا لايضيئان النور ؟ ان الدنيا تظلم ، وسيقبلها الآن ، ولكن هذه حجرتى ، حجرتى ! الظلام حالك الآن ،لااستطيع ان أرى شيئا .ولكننى أسمعهما يتهامسان ، يتهامسان ، هل سيرقد معها فى فراشى ؟ ماهذا الذى قالته له ؟ الوقت ظهر ، والشمس ساطعة ؟ لابد اننى أصاب بالعمى (فترة) لقد اظلمت الغرفة ، لم اعد أرى أو أسمع شيئا ، يبدو أن كل علاقة لى بالارض قد انتهت . لااستطيع أن اثبت وجودى فى غير مكان الجريمة (ترتعد) أشعر بأنى خاوية ، والآن ، اصبحت فى النهاية فى عداد الاموات تماما . أصبحت هنا بكل كيانى فى هذه الغرفة . (فترة) ماذا كنت تقول ؟ اكنت تتكلم عن تقديم المعونة لى .. أليس كذلك ؟

جارسان : نعم .

اينيز : معاونتى فى أن افعل ماذا ؟

جارسان : فى احباط حيلهم الشيطانية

اينيز : وماذا تتوقع منى فى مقابل ذلك ؟

جارسان : أن تساعدينى ، ولن يتطلب ذلك الا القليل من

الجهد ، يا اينيز ، مجرد جذوة من الشعور الانساني .

اينيز : الشعور الانساني ! هذا ليس فى مقدورى ، انى فاسدة حتى النخاع ..

جارسان : وانا ؟ (فترة) على اية حال ، نستطيع ان نحاول .

اينيز : لا فائدة ، لقد جف معينى ، وليس فى مقدورى ان اتلقى او ان اعطى ، فكيف تريد منى أن اساعدك؟ اصبحت غضا ميتا ، ولن تلبث النار أن تلتهمه (تصمت وهى تحملق الى استيل التى دفنت راسها بين راحتيها) فلورانس كانت شقراء ، شقراء بطبيعتها .

جارسان : أتعرفين ان هذه الصغيرة مقدر لها ان تكون جلادتك ؟

اينيز : لعلى ، خمنت هذا .

جارسان : انهم سيظفرون بك عن طريقها ، أما أنا بالطبع، فانى مختلف .. متباعد ، لا أعيرها أى التفات ، فاذا كنت من جهتك ..

اينيز : ماذا ؟

جارسان : ان هذا شرك ، وهم يراقبونك ليعرفوا هل ستقعين فيه ؟

اينيز : اعرف ذلك ، وأنت أيضا شرك ، أتظن انهم لم يتوقعوا كلماتك) وبالطبع هناك عديد من المزالق لانستطيع أن نراها ؟ كل ماهنا اشراك .. ولكن ، ماعسى ذلك أن يضير ؟ أنا أيضا شرك ، شرك نصب لها ، فربما كنت أنا التي أقتنصها .

جارسان : لن تقتنصي شيئا قط ، اننا نطـارد بعضـنا البعض ، ونحن ندور فى حلقة مفرغة ، مثل الجياد فى مجرى دائرى ، هذا جـزء من خطتهم طبعا ، افلتيها من يديك يا اينيز ، ابسطى يديك ، وافلتى كل شيء منهما ، والا فانك ستتسببين فى شـقائنا نحن الثلاثة .

اينيز : اترى أن ملامحى هى ملامح من يدع شيئا يفلت من قبضته ؟ أنا أعرف ماذا ينتظرنى . سأحترق ، وسيستمر هذا الى الابد ، نعم انى أعرف كل شيء، اتظن انى سأدع الامر يفلت من يدى ؟ سأظفر بها، وستراك بعينى كما كانت فلورانس ترى الآخر . فيم جئت تكلمنى .. عن شـقائك ! اؤكد لك انى اعرف كل شيء ولااسـتطيع الاشـفاق حتى على نفسى . شرك .. شرك .. الا اعرف ذلك ، وأعرف اننى فى مصيدة ، غارقة فيها حتى عنقى ، وانهليس هناك مايمكن عمله . واذا كان ذلك يلائم فكرهم ، فهذا افضل .

جارسان : (وقد اخذ يكتفها) اما انا على اية حال ، فأستطيع الاشفاق عليك ، انظري الى . . اننا عاريان ، عاريان حتى العظام ، واستطيع ان انفذ حتى اعماق قلبك ، وهذه رابطة تجمع بيننا . اتظنين انى اريد بك شرا ؟ أنا لا أندم على شيء ، فأنا أيضا قد جف معينى ، ولكنى استطيع الاشفاق عليك .

اينيز : (التى تركت له نفسها طوال فترة كلامه ، تنفض يده عنها الآن) لاتمسنى ، انى اكره ان يمسنى احد ، احتفظ بشفقتك لنفسك ،ولاتنسى ياجارسان ان هناك أيضا شراك منصوبة لك ، فى هذه الغرفة. وقد اعدت من أجلك . ولعلك تحسن صنعا اذا انشغلت بشئونك الخاصة . (فترة) ولكن ، اذا اردت أن تتركنا فى سلام ، انا والصغيرة ، فسابذل كل جهدى فى الا اسبب لك اذى .

جارسان : (ينظر اليها لحظة ثم يهز كتفيه) لابأس .

استيل : (وقد رفعت رأسها) من فضلك ياجارسان .

جارسان : ماذا تريدين منى ؟

استيل : (ناهضة ومقتربة منه) انك تستطيع ان تساعدنى على اية حال .

جارسان : الجئى اليها اذا كنت تريدين العون .

(اينيز تقترب ، وتقف خلف استيل دون أن

تلمسها ، واثناء الحوار التالى تكلمها فى أذنها
تقريبا ، ولكن استيل تحتفظ بعينيها على جارسان
الذى يراقبها فى صمت ، وهى توجه ردودها اليه
وحده ، كما لو كان هو الذى يستجوبها) .

استيل : ارجوك ، لقد وعدت بذلك ياجارسان . لقد
وعدت ، فساعدنى بسرعة ، لاأريد أن أظل وحدى؛
لقد صحبته اولجا الى المرقص .

اينيز : صحبت من ؟

استيل : بطرس ، انهما يرقصان معا الآن !

اينيز : من هو بطرس ؟

استيل : صغير اخرق ، كان يسمينى مجرى الماء الذى
ينظر فيه ، تخيل هذا ! وكان غارقا فى حبى ،
وقد أقنعته ان يذهب معها الى المراقص الليلية .

اينيز : وانت تحبينه ؟

استيل : انهما يجلسان الآن ، انها مبهورة الانفاس .
بالها من غبية لاصرارها على الرقص ! الا اذا كانت
تبغى النحافة ، كلا ، انا لا أحبه ، بكل تأكيد .
فهو لم يتجاوز العام الثامن عشر من عمره ، وأنا
لست خاطفة أطفال .

اينيز : اذن ، لماذا تهتمين بها ، فيم يعنيك هذا الأمر ؟

استيل : انه كان لى .

اينيز : لم يصبح لك شىء على الارض .

استيل : أقول انه كان لى ، كان كله لى .

اينيز : نعم ، كان لك ، ذات يوم ، والآن حاولى أن تجعليه يسمعك ، حاولى أن تلمسيه ، أما أولجا، فانها تستطيع ان تلمسه ، وتستطيع ان تخاطبه ماشاءت ، وتستطيع ان تمسك بيديه ، وان تمس ركبتيه .

استيل : نعم ، انظر ، انها تدفع نحوه صدرها الضخم . وتبعث بزفيرها فى وجهه ، ياحملى الصغير المسكين ، الا تستطيع أن ترى كم هى مضحكة . لماذا لاتسخر منها ؟ آه ، كان يكفينى يوما ما أن أوجه اليها نظرة واحدة ، لكى تنزوى ، أحقيقة أنى لم يعد لى وجود ؟

اينيز : لا شىء على الاطلاق ، لم يبق منك شىء فوق الارض ، ولا حتى ظل ، كل ما تملكيه هنا .. أتريدين قطاعة الورق ؟ أو تلك التحفة التى فوق المدفأة ؟ ان الاريكة الزرقاء لك ، وأنا ، ياصغيرتى ، أنا لك الى الابد .

استيل : انت لى ! اذن من منكما يجرؤ على تسميتى بمجرى مائه الذى ينظر فيه ليرى فتاته البللورية ؟ أنا لااستطيع ان أخدعكما ، فأنتما تعرفان أنى عفنة حتى النخاع ، ياعزيزى بطرس ، فكر فى ، لاتفكر

الا فى ، انقذنى ، فمادمت تفكر فى ، وتدعونى :
ياجدولى الرقراق ، يافتاتى البللورية ، فلن أكون
هنا الا جزئيا ، لن أكون شريرة الا جزئيا، سيكون
نصعى معك هناك سأكون نظيفة ، متألقة . صافية،
مثل جدول الماء الجارى ، أنظر الى وجهها فقط ،
انها حمراء اللون كالطماطم ، لا ، هذا شيء مضحك،
لقد سبق لنا ان ضحكنا منها معا مئات المرات ،
وما هذا اللحن ، لقد كنت أحبه حبا شديدا ، آه
انه أنغام القديس لويس.. على كل حال . ارقصا،
ارقصا ، آه ، يا جارسان ، لو انك كنت تراهما
لمت من الضحك ، ولكنها لن تعرف قط انى أراها
نعم ، انى اراك يا أولجا ، بتسريحتك المتهدلة ،
وانت تبدين كالمخدرة ، يا عزيزتى ، أوه ، انك
الآن تطئين قدميه ، امر يجعل المرء يموت من
الضحك . هيا بأسرع من ذلك ، بأسرع من ذلك .
انه يجذبها ، ويدفعها فى دورات ، منظر مخيف ،
كان يقول لى اننى خفيفة جدا ، وانه يحب الرقص
معى . هيا .. هيا .. (ترقص وهى تتكلم) قلت
لك يا اولجا انى اراك . انها تسخر من ذلك ،
وترقص خلال نظراتى . ما هذا ؟ ماذا قلت ؟
عزيزتنا المسكينة استيل ؟ لا تكونى مخادعة ،
فانك لم تذرفى ولا حتى دمعة واحدة فى جنازتى ،
لقد بلغت بها الجرأة الى حد ان كلمته عن صديقتها

العزيزة المسكينة ، استيل ! كيف تجرؤ على الكلام عنى مع بطرس ؟ الآن ، حافظى على التوقيت ، ليست هى التى تستطيع ان تتكلم وترقص فى آن واحد ، ولكن ، ماذا عن .. ؟ كلا ! كلا ! لا تخبريه . أرجوك ، أرجوك ، لا تخبريه . احتفظى به ، افعلى به ما تشائين ، ولكن ، لا تخبريه .. عن .. ذلك (تكف عن الرقص) حسن ، الآن تستطيعين أن تحتفظى به ، أليس هذا مقززا يا جارسان . لقد كلمته عن كل شىء ، عن روجيه ورحلة سويسرا والطفلة . ان عزيزتنا استيل لم تكن بالضبط ، كلا ، انى لم أكن بالضبط ، هذا صحيح . ها هو ذا يهز راسه فى حزن ، ولكن ، لا يبدو انه دهش كثيرا ، ليس هذا ما يتوقعه المرء . الآن ، احتفظى به لنفسك ، فلن انازعك رموشه الطويلة ولا وجهه الذى يشبه وجوه البنات . هى لك تحت طلبك ، جدوله الرقراق، وفتاته البلورية ، ولكن البلورية اصبحت فتاتا . عزيزتنا استيل .. ارقصا ، ارقصا ، ارقصا ، استمرا فى الرقص ، ولكن حافظا على الايقاع ، واحد ، اتنين ، واحد ، اتنين . (ترقص) تطيب نفسى ببذل اغلى مافى هذا العالم لكى أرجع الى الارض . لحظة واحدة ، لكى أرقص معه ثانية (ترقص ثانية لفترة) لقد خفت صوت الموسيقى . وخفتت الأنوار وكأنها رقصة تانجو . لماذا اصبح

ايقاع الموسيقى هادئا ، أرفعوا ايقاعكم قليــلا اذا سمحتم ، لم أعد أسمع ، يالبعد المسافة بيننا ! لم أعد أسمع صوتا واحدا ، (تكف عن الرقص) انتهى كل شيء ، هذه هي النهاية ، الأرض هجــرتنى ، (مخاطبــة جارســـان) لا تولى وجهك عنى ، من فضلك يا جارسان ، خذنى بين ذراعيك . (اينيز تشير الى جارسان من وراء ظهــر اســتيل ، بأن يبتعد)

اينيز : (آمرة) والآن ، ياجارسان !

جارسان : (يتقهقر خطوة ، ناظرا الى استيل ، ومشيرا الى اينيز) ينبغى أن تخاطبيها هى .

استيل : (تتشبث به) لاتتحول عنى ، انك رجل ، ألست كذلك) ولست مخيفة الى هـــذا الحد ! ان كل واحد يقول أن لى شعرا جميلا ، وقد قتل رجل نفسه من أجلى على أية حال . انك مضطر أن تنظر الى شيء ما ، وليس هنا شيء تراه سوى الارائك ، وتلك التحفة الرهيبة ، والمنضدة . وأنا بكل تأكيد، افضل للبعد من كل هذا الاثاث الغبى . اسمع ! لقد سقطت من قلوبهم كما يسقط الطائر الصــغير من العش ، فالتقطنى ياعزيزى ، ادخلنى قلبك ، وسترى الى أى حد أستطيع أن أكون لطيفة !

جارسان : (يحرر نفسه منها ، بعد صراع قصير) قلت لك عليك أن توجهى كلامك الى هذه السيدة .

استيل : اليها ؟ ولكنها لاتدخل فى الحساب ، أنها امرأة .

اينيز : أوه ، أنا لا أدخل فى الحساب؟ أهذا ماترين ؟ ولكن ، اعلمى ياطائرى الساقط الصغير ، انك بمأمن من قلبى منذ زمن طويل ، رغم أنك لاتدركين، فلاتخافى ، وسأنظر اليك الى أبد الآبدين ، دون خفقة واحدة من جفنى ، وستعيشين فى نظرتى كذرة الغبار فى شعاع من أشعة الشمس .

استيل : شعاع من أشعة الشمس ؟ لاتقولى ترهات كهذه ! فقد لعبت على هذه اللعبة ، من قبل ، وقد رأيت أنها لاتفلح معى .

اينيز : استيل ، ياجدولى الرقراق، يافتاتى البللورية ،

استيل : فتاتك البللورية ؟ هذا تهريج مضحك ، هل تظنين انك تخدعيننى بهذا الكلام ان كل الناس يعرفون مافعلته بطفلتى ، لقد أصبح البللور فتاتا على الارض ، ولكننى لا أبالى . لست سوى دمية جوفاء ، وكل مابقى لى هو سطحى الخارجى ولكنه ليس لك .

اينيز : تعالى يا استيل، وستكونين ماتريدين أن تكونى. وسواء كنت مجرى من الماء الرقراق ، أم مجرى من ماء وطين ، فانك ستجدين نفسك فى قاع عينى على النحو الذى تتمنين أن تكونى عليه .

استيل : دعينى فى سلام ! ليس لك عينان ! ماذا يجب

على أن أفعل لكى اتخلص منك ؟ لقــد خطرت لى فكرة ! (تبصق فى وجهها ، فتتركها اينيز فجأة) أهذا يكفى ؟

اينيز : ستدفع ثمن هذا يا جارسان .

(فترة ، جارسان يهز كتفيه ويذهب نحو استيل)

جارسان : اذن ، فأنت تريدين رجلا ؟

استيل : ليس أى رجل ، ولكن انت .

جارسان : دعينا من هذا التمثيل ، فأى رجل يستطيع أن يسد . ولكن تصــادف أن وجــــدت هنــا ، فأصبحت تريدينني .. حســـنا ! (يأخــذها من كتفيها) لست النوع الذى تريدينه فى الحقيقة ، فلست صغيرا أخرق ، ولا أرقص التانجو .

استيل : سأقبلك على علاتك ، وربما استطعت تغييرك .

جارسان : هذا ماأشك فيه ، وسأكون شــارد الذهن ، فلدى فى رأسى مهام اخرى .

استيل : أى مهام ؟

جارسان : هذا لايهمك .

استيل : سأجلس على أريكتك ، وانتظر حتى تنتبه الى، واعدك الا أضايقك على الاطلاق .

اينيز : (بضحكة عالية الصوت) هــذه هى الطريقة ، تذللى له ، فانت كلبة سخيفة ، ازحفى وتذللى، بل انه ليس به من الوسامة مايغرى .

استيل : (لجارسان) لاتصغ اليها ، انها لا عين لها ولاآذان فهى ليست فى الحساب .

جارسان : سأعطيك ماأستطيع، وهو ليس بالشيءالكثير . ولن أحبك ، لان معرفتى بك تأبى على ذلك .

استيل : هل تشتهينى على أية حال ؟

جارسان : نعم .

استيل : هذا كل ماأريد .

جارسان : وفى هذه الحالة .. (ينحنى عليها)

اينيز : استيل ! جارسان ! أطقدتما عقليكما ! لستما وحدكما ، اننى هنا ، معكما !

جارسان : بالطبع ، ولكن ماذا يهم ؟

اينيز : تحت سمعى وبصرى ؟ انكما لا تستطيعان ، لا تستطيعان اتيان هذا .

استيل : ولم لا ؟ لقد كنت أخلع ملابسى أمام خادمتى .

اينيز : (وهى تقبض على ذراع جارسان) دعها دعها ! لاتمسها بهاتين اليدين القذرتين ، يدى الرجل !

جارسان : (دافعا اياها بعنف) احذرى ، فأنا لست سيدا نبيلا ، ولا أعانى من وخز الضمير بخصوص ضرب امرأة .

اينيز : ولكنك وعدتنى يا جارسان ، وعدتنى ، اننى أطلب منك فقط أن تحافظ على وعدك .

جارسان : ولماذا ؟ اذا كنت أنت أول من نقض العهد .
(أينيز تدير ظهرها له ، وتتقهقر حتى قاع الغرفة)

اينيز : حسنا جدا ، تصرفا كما يحلو لكما . فأنا الطرف الاضعف ، واحدة ضد اثنين ، ولكن تذكرا أنى هنا ، وانى أنظر اليكما . لن أحيد عنك بعينى ياجارسان ، وعندما تقبلها ، ستشعر بهما يخترقانك . نعم ، تصرفا كما يحلو لكما ، تطارحا الغرام وانتهيا ، اننا فى جهنم ، وسيأتى دورى .
(فى أثناء المنظر التالى ، تنظر اليهما دون أن تنطق بكلمة)

جارسان : (يرجع الى استيل ، ويأخذها من كتفيها) الآن ، اذن ، شفتاك ، اعطنى شفتيك .

(فترة ، ينحنى عليها ليقبلها ، ثم يعتدل فجأة)

استيل : (حانقة) حقا ؟ (فترة) الم أقل لك الا تعيرها اهتمامك .

جارسان : لقد أخطأت . (فترة قصيرة) انه جوميز ، لقد عاد الى حجرة الطباعة ، وقد أغلقوا النوافذ ، لابد أن الوقت شتاء . منذ ستة شهور .. لقد حذرتك . انه سيجعل ذهنى يشرد فى بعض الاحيان أليس كذلك ؟ انهم يرتعدون ، وقد احتفظوا بستراتهم . من الغريب أن يكون الجو عندهم باردا

الى هذا الحد ، فى حين اشعر انا بالحرارة الى هذا الحد ، انهم يتكلمون عنى فى هذه المرة .

استيل : هل سيستمر ذلك وقتا طويلا ؟ (فترة قصيرة) يجب أن تقول لى على الاقل ماذا يقول .

جارسان : لاشيء ، لاشيء يستحق أن يقال ، انه خنزير ، هذا كل مافى الامر (يرهف اذنه) خنزير ملعون . (يستدير الى استيل) لنرجع الى انفسنا ، هل ستحبينني ؟

استيل : (مبتسمة) .. من يدرى ؟

جارسان : هل ستثقين فى ؟

استيل : سؤال غريب حقا ؟ طالما ستكون تحت بصرى طول الوقت ، واينيز ليست بالمرأة التى أخشى منها الكثير فيما يتعلق بك .

جارسان : هذا بديهى . (فترة ، يترك كتفى استيل) كنت أتكلم عن نوع آخر من الثقة . (ينصت) قل ماتشاء ، قل ماشئت أيها الخنزير ، فلست هنا لكى أدافع عن نفسى (مخاطبا استيل) استيل ، يجب أن تولينى ثقتك .

استيل : يالك من شخص مزعج ! إننى اهبك شبابى ، وذراعاى ، وجسدى كله ،ويمكن لكل شيء أن يسير فى غاية البساطة .. ! ولكن أخشى الا تكون

لدى ثقة لك أوليك اياها . وانت تحـرجنى الى أقصى حد . لابد أن تكون قـد فعلت فعلة نكراء حتى تلح على هكذا فى طلب الثقة .

جارسان : لقد أعدمونى رميا بالرصاص .

استيل : أعرف ، وذلك لانك رفضت الذهاب ، ثم لماذا لاترفض ؟

جارسان : لم .. لم أرفض بالضبط (بصوت آت من مكان سحيق) لابد أن اعترف انه يتكلم جيدا ، ويبرز القضية ضدى ، ولكنه لايقول ماذا كان يجب أن افعل بدلا من هذا ، أكان يجدر بى أن ادخل على الجنرال ، واقول له : «سيدى الجنرال أنا لن أحارب » ؟ يالها من حماقة ، لو قلت ذلك لزج بى فى السجن فى الحـال ، لكنى أردت أن أظهـر على حقيقتى ، عـلى حقيقتى ، أتفهمـين ؟ لم أرد أن يخنقوا صوتى (لاستيل) فأخذت القطار ، وضبطونى على الحدود .

استيل : والى أين كنت تريد أن تذهب ؟

جارسان : الى المكسـيك ، حيث كنت أعتزم افتتـاح جريدة تدعو للسلام (صمت قصير) حسنا ، لماذا لاتتكلمين ؟ قولى شيئا .

استيل : ماذا استطيع ان اقول ؟ خيرا فعلت مادمت لم تكن تريد القتـال (اشـارة تبرم من جارسـان)

ولكن ، ليس في وسعي ياحبيبي أن أعرف مايجب أن أرد به عليك .

اينيز : ألا تستطيعين التخمين ؟ أنا أستطيع ، انه يريدك أن تقولي له انه فر كالاسد لانه فر ، وهذا هو مايؤرقه .

جارسان : فررت ، ذهبت ، لن نتشاجر على كلمات .

استيل : كان يجب أن تفر ، ولو أنك بقيت لوضعوا الاغلال في يديك .. أليس كذلك ؟

جارسان : طبعا . (فترة) استيل ، هل أنا جبان ؟

استيل : لاادري ، لاتكن شخصا غير معقول ، فأنا لست داخل جلدك ، عليك أنت أن تقرر .

جارسان : (باشارة تدل على السأم) لاأستطيع تقرير شيء .

استيل : على كل يجب أن تتذكر ، لابد أنه كان لديك من الأسباب ما جعلك تتصرف على النحو الذى سلكته .

جارسان : نعم ، كانت لدى اسبابى .

استيل : انتهينا .

جارسان : ولكن ، هل كانت أسبابا حقيقية ؟

استيل : (متبرمة) انت معقد ، هذه مصيبتك ، تعذب نفسك من اجل تفاهات كهذى !

جارسان : لقد فكرت فى كل هــذا ، وأردت أن أتخـذ موقفا ، فهل كان هذا دافعى الحقيقى ؟

اينيز : بالضبط ، هذا هو السؤال . هل كان هــذا هو دافعك الحقيقى ؟ لاشك أنك فكرت طويلا ، ووازنت الاسباب التى تدعوك الى هذا ، والاسـباب التى لاتدعوك ، ووجدت أسبابا وجيهة للمسلك الذى سلكته ، ولكن الخــوف والبغض وجميع الغـرائز الصغيرة القذرة التى يخفيها الفرد ، كلها أيضا من الدوافع ياسيد جارسان ، حاول أن تكون أمينا مع نفسك ولو مرة واحدة .

جارسان : أتظنين أننى أحتاج اليك لكى تخبرينى بهذا ؟ لقد رحت أسير فى زنزانتى طوال الليل والنهار ، اقطعها من النافذة الى الباب ، ومن البـاب الى النافذة ، وأخذت أرقب نفسى ، وأتقصى أثرها مثل مخبر ، وفى النهاية خيـل الى أنى قضيت حيـاة بأسرها فى أستجواب نفسى ، ولكننى فى النهايةكنت أصغى الى شىء واحد ثابت فى الماضى ، هو أننى تصرفت بالاسلوب الذى تصرفت به ، فقد .. فقد أخذت القطار المتجه ناحية الحدود ، ولكن لماذا ؟ لماذا ؟ واخيرا فكرت .. ان موتى هو الذى سيضع حدا لهذا كله ، فاذا مت موت الشجعان ، برهنت على أننى غير جبان .

اينيز : وكيف واجهت الموت يا جرسان .

جارسان : فى حالة يرثى لها. (اينيز تنفجر بالضحك ،
أوه ، لم يكن الأمر أكثر من مجرد خور جسمانى قد يحدث لأى انسان ، ولست أشعر بأى خجل من ذلك ، ولكن كل شىء قد بقى معلقا والى الابد .
(مخاطبا استيل) تعالى هنا يااستيل ، انظرى الى، فانى احتاج الى ان ينظر الى شخص ما وهم يتكلمون عنى فوق الارض .. وانا احب العيون الخضراء .

اينيز : العيون الخضراء ؟ انصتى اليه ! وانت يااستيل ، اتحبين الجبناء ؟

استيل : هذه مسألة لا اعتبار لها عندى ، بطل أو جبان، الامر عندى سيان ، فمادام الرجل يجيد العناق !

جارسان : هاهم مكومون فى مقاعدهم ، يجذبون انفاس سجائرهم ، وقد بدا عليهم السأم، انهم يقولون فى انفسهم : جارسان جبان ، يقولونها بضعف وتراخ، ولايدفعهم الى هذا القول سوى ايجاد اى موضوع للتفكير .. ذلك الولد جارسان كان جبانا ، هذا هو ماقرروه ، أولئك الاصدقاء الاعزاء ، وبعد ستة اشهر سيقولون : جبان مثل ذلك الفض جارسان.
ما أسعد حظكما انتما الاثنتان ، لم يعد هناك أحد على وجه الارض يفكر فيكما ، اما انا فسأموت موتا بطيئا .

اينيز : وزوجتك ، يا جارسان ؟

جارسان : زوجتي ؟ الم اخبركما ؟ لقد ماتت .

اينيز : ماتت ؟

جارسان : نعم . لقد ماتت منذ حين ، منذ حوالي شهرين .

اينيز : من الحزن ؟

جارسان : طبعا ، من الحزن . وهكذا ترين ان كل شيء على مايرام : الحرب انتهت ، وامراتي ماتت ، وأنا دخلت التاريخ .

(ينشج بغير دموع ، ويمر بيده على وجهه ، واستيل تتعلق به)

استيل : ياحبيبي المسكين ! انظر الى ياحبيبي . ارجوك ان تنظر الى ، المسنى ، المسنى ، (تتناول يده وتضعها على صدرها) ضع يدك على صدري . (جارسان يقوم بحركة عصبية) دع يدك ، لاتتحرك ، سيموتون الواحد بعد الآخر . فما جدوى تفكيرهم ؟ انسهم ، لم يعد هناك غيري الآن .

جارسان : (وهو يخلص يده) ولكنهم لن ينسوني ! سيموتون ، ولكن سيأتي بعدهم غيرهم يتسلمون منهم الاسطورة ، فقد تركت مصيري بين أيديهم .

استيل : أوه ، انك تسرف في التفكير ، هذه هي مشكلتك .

جارسان : وماذا أستطيع أن أفعل غير ذلك الآن ؟ فيما مضى كنت أعمل .. أوه ، لو اننى اتيح لى ان أرجع اليهم يوما واحدا فقط ؟ لدفعتهم بالكذب .. أى كذب ! ولكننى سجين ، وهم يصدرون احكامهم على حياتى دون أن يهتموا بى والحق فى جانبهم مادمت قد مت . مت وانتهيت . (يضحك) انتقلت الى حيز الممتلكات العامة .

(فترة صمت قصيرة)

أستيل : (بحنان) جارسان .

جارسان : أمازلت هناك) اذن ، اصغ الى ، أريد منك خدمة ، كلا ، لاتتقهقرى ، فانا أعرف أنه يبدو لك من الغريب أن يطلب أحد منك بعض العون ، لانك لم تعتادى ذلك ، ولكنك لو بذلت بعض المجهود ، لو انك أردت باصرار ، لاستطعنا أن نتحاب حبا صادقا ، انظرى الى الامر بهذا الاسلوب ، هناك ألف شخص يدعون بأننى جبان ، ولكن ماقيمة الارقام ؟ فلو أن هناك نفسا ، نفسا واحدة تؤكد بكل قواها اننى لم أفر ، واننى لايمكن أن أكون من النوع الذى يفر ، وبأننى شجاع ، ونظيف ، وما الى ذلك ، فان ايمان شخص واحد ينقذنى ، فهل تؤمنين بى هذا الايمان ؟ لو فعلت ذلك لأحببتك وأعززتك الى الابد . استيل ، هل تحبيننى ؟

استيل : (تضحك) أيهــا الأبله ! أيها الأبله الحبيب !
أتظن أنه كان فى مقدورى أن أحب جبانا ؟

جارسان : ولكنك كنت تقولين الآن .

استيل : كنت أسخر منك ، انمــــا أحب الرجــال ،
يا جارســـان . الرجــال الحقيقيين ، ياعزيزى .
الرجال ذوى البشرة الصلبة ، والايدى القــوية .
وذقنك ليست ذقن جبان ، وفمك ليس فم جبان.
وصوتك ليس صوت جبان ، وشعرك ليس شعر
جبان ، ولم أحبك الا من أجل فمك ، وصوتك ،
وشعرك .

جارسان : هل تعنين هذا ؟ تعنينه حقا ؟

استيل : أتريد أن أقسم لك على ذلك ؟

جارسان : اذن ، انا أتحداهم جميعا ، من منهم هناك ،
ومن منهم هنا ، استيل ، سنخرج من الجحيم .

(اينيز تنفجر ضاحكة ، يتوقف جارسان وينظر
اليها) ماهذا ؟

اينيز : (ضاحكة) ولكنها لا تؤمن بكلمة واحدة مما تقول،
كيف يتأتى لك أن تكون ساذجا الى هذا الحد ؟
«استيل ، هل أنا جبان ؟» . آه ، لو علمت مقدار
سخريتها من هذا كله !

استيل : اينيز ، كيف تجرؤين (مخاطبة جارســان)

لا تصغ اليهـا ، اذا أردت ثقتى ، فلابد ان تبـدأ بمنحى ثقتك .

اينيز : نعم ، نعم ، هيـا امنحها ثقتك ! انها فى حاجة الى رجل ، وفى حدود ذلك يمكنك أن تثق بها ، انها فى حاجة الى رجل له ذراع تلتف حول خصرها، ورائحة رجل ، وعينى رجل تتلظيان بالشهوة ، هذا كل ماتريده ، وفى وسعها أن تقول لك بأنك الاله القدير ، اذا ظنت أن هذا سيسعدك .

جارسان : استيل ، هل هذا صحيح ؟ اجيبينى ، هـل هذا صحيح ؟

استيل : ماذا تتوقع منى أن أقول ؟ الا تدرك كم هو من الجنون أن نجيب على أسئلة لانفهمها ؟ انا لاأفهم شيئا من كل هذه الموضـوعات . (تـدق الارض بقدمها) انك تعقـد لامور ، فحتى لو كنت جبانا لاجبتك ، الا يكفيك ذلك ؟

(فترة صمت قصيرة)

جارسان : (للمراتين) ان نفسى لتشـمئز منكما أنتمـا الاثنتان .

(يذهب نحو الباب)

استيل : ما الذى تنوى عمله ؟

جارسان : سارحل .

اينيز : (بسرعة) لن تذهب بعيـــدا ، فالباب مغلق .
جارسان : سأجعلهم يفتحونه .

(يضغط على زر الجرس ، والجرس **لايرن**)

استيل : جارسان ، من فضلك ؛ من فضلك !
اينيز : (مخاطبة استيل) **لا تقلقى يا صغيرتى ، فالجرس معطل .**
جارسان : قلت لك انهم سيفتحون (يدق على الباب) لم أعد اطيق هذا ، لقد سئمتكما انتما الاثنتين . (استيل تجرى نحوه ، فيدفعها) اذهبى ، ان نفسى تشمئز منك اكثر مما تشـمئز منهـا . لااريد ان اغوص فى عينيك ، انت لزجة وناعمة (يدق الباب ثانية) انت مستنقع واخطبوط .
استيل : ارجوك ياجارسان ، لاتذهب ، اعدك اننى لن اكلمك ثانيـة ، لن اضـايقك بأى شكل ، ولكن لا تذهب ، لقـد كشـفت أينيز عن مخالبهـا ، ولا أجرؤ على ان أبقى معها وحدى .
جارسان : دبرى أمرك ، فلست انا الذى طلبت منك ان تأتى .
استيل : اوه ، كم انت حقير ! حقيقة انت جبان !
اينيز : (مقتربة من استيل) ماذا ، يا عصفورتى التى سقطت من العش ، ارجو ان تكونى راضية الآن ، لقد بصقت فى وجهى ، بالطبع لكى ترضيه ، وقد

ساء ما بيننا بسببه ، ولكنه ذاهب. ونعم الخلاص،
وسيتركنا ليخلو لنا المكان كامرأتين . امرأة
لامرأة .

استيل : لن تربحى من وراء ذلك شيئا ، فاذا فتح هذا
الباب ، فسأرحل أنا أيضا .

اينيز : الى اين ؟

استيل : لايهم المكان ، مادمت بعيدة عنك الى اقصى
حد .

(لم يكف جارسان عن الدق على الباب أثناء
حديثهما)

جارسان : افتحوا الباب ، افتحوا الباب ، عليكم اللعنة !
أنا مستعد لقبول كل شيء ... آلات التعذيب ،
والقلابات المحمية ، والرصاص المنصهر ، والملاقط
والاغلال وكل ما يحرق ويسلخ ويمزق، سأتحمل
أى عذاب تعرضونه على ، أى شيء افضل من
عذاب الفكر ، من هذا الالم الزاحف الذى يقرض ،
ويعيث فسادا ، ويطوى المرء ، ولايوجع وجعا كافيا
ابدا . (يقبض على مزلاج الباب ، ويهزه بقوة) الا
تريد أن تفتح ؟

(الباب يفتح فجأة ، ويوشك جارسان أن يسقط
على الأرض) آه

(فترة صمت طويلة)

اينيز : والآن . يا جارســـان . لك مطلق الحرية فى أن ترحل .

جارسان : (يتأمل) انى اســـائل نفسى لماذا فتح هـــذا الباب .

اينيز : ماذا تنتظر ؟ اذهب بسرعة .

جارسان : لن أذهب .

أينيز : وانت ، يا استيل ؟ (استيل لا تتحرك، واينيز تنفجر بالضـــحك) اذن ، أى منـــا ؟ أى منا نحن الثلاثةسيذهب ؟ لقد سقط الحاجز ، فماذا ننتظر؟ ياله من موقف يدعو للضحك ! اننا لانستطيع أن ننفصل !

(استيل تثب عليها من خلفها)

استيل : لن ننفصل ؟ هيا ، ساعدنى ياجارسان ، عجل بمساعدتى ، سندفعها الى الخارج ، ونغلق عليها الباب ، وسيعطيها ذلك درسا .

أينيز : (تتصارع مع استيل) استيل ، أرجوك . دعينى أبقى ، لن أذهب ! لن اذهب ! لا تقذفى بى فى الممر .

جارسان : دعيها .

استيل : انت مجنون ، انها تكرهك .

جارسان : انا لم ابق هنا الا بسببها .

(استيل تترك اينيز ، وتنظر الى جارسان بدهشة)

اينيز : من أجلى ؟ (فترة صمت) حسن ، اذن اغلق الباب ، لقد زادت درجة الحرارة هنا الى عشرة أمثالها منذ أن فتح الباب . (جارسان يذهب نحو الباب ويغلقه) هل قلت من أجلى ؟

جارسان : نعم ، فأنت على أية حال تعرفين مامعنى أن يكون الانسان جبانا .

اينيز : نعم ، أعرف ذلك .

جارسان : وتعرفين ماهو الالم وماهو العار وماهو الخوف ، وقد مرت بك أيام رأيت فيها نفسك فى أعمق أغوارها . وكان ذلك يقض مضجعك ، وفى اليوم التالى كنت لاتعرفين ماذا تفهمين ، ولاكيف تصلين الى فك طلاسم الرعب الذى كشف لك فى اليوم السابق ، نعم .. أنت تعرفين ثمن الالم ، وعندما تقولين أنى جبان ، فانك تعرفين من التجربة ما يعنيه هذا ، أليست تلك هى الحقيقة ؟

اينيز : نعم .

جارسان : اذن ، اذن ، انت التى يجب على ان اقنعك ، لانك من جنسى . أتظنين انى كنت انوى الذهاب حقا ؟ كلا ، لم يكن فى وسعى أن اتركك هنا تعملين فكرك فى هزيمتى ، وفى راسك تتوارد كل هذه الافكار .

اينيز : اتريد حقا اقناعى ؟

جارسان : لم يعد لى هدف غير هذا الآن ، اننى لم أعد أسمعهم ، وربما كان معنى هذا انهم انتهوا منى الى الأبد . لهذا اسدل الستار ، ولم يعد منى شيءعلى الارض ، ولا حتى رسما لشخص جبان . والآن ، يا أينيز . ها نحن وحدنا . وليس هناك الآن من يفكر فى الا انتما الاثنتان ، اما هى فلا حساب لها ، أنت التى تهمنى يامن تكرهيننى ، لو آمنت بى ، لنجوت على يديك .

اينيز : لن يكون ذلك من الأمور الهينة ، انظر الى ، فانى امراة عنيدة .

جارسان : سأعطيك كل مايلزم من الوقت .

اينيز : نعم لدينا الكثير من الوقت .. كل الوقت .

جارسان : (يضع يديه على كتفيها) اصغى الى ! كل شخص له هدفه فى الحياة ، حافز أساسى ، أليس كذلك ؟ أما انا فلم أكن أعبأ لا بالمال ولا بالحب ، كنت اريد ان أكون رجلا . رجلا حقيقيا رجلا بمعنى الكلمة كما يقولون ، وراهنت بكل شيء على حصان واحد بعينه .. فهل من الممكن ان يكون المرء جبانا اذا اختار لنفسه اوعر الطرق واكثرها خطورة ؟ وهل يستطيع الانسان الحكم على حياة كاملة بحدث مفرد واحد ؟

اينيز : ولم لا ؟ لقد ظللت ثلاثين عاما تحلم بانك بطل .
وكنت تتجاوز عن الآلاف والآلاف من صغار الاخطاء
لان البطل بطبيعة الحال لايمكنه أن يخطىء فما
أيسر ما اخترت ! ثم جاء يوم اصطدمت فيه باشارة
الخطر الحقيقى ، فأخذت القطار الى المكسيك .

جارسان : تقولين اننى كنت أحلم ، لم يكن هذا حلما ،
فعندما اخترت الطريق الاشق ، وصلت الى قرارى
عن عمد ، والانسان مايريد لنفسه أن يكون .

اينيز : برهن على ذلك على انه لم يكن حلما . فافعال
الانسان وحدها هى التى تقرر معدن الانسان .

جارسان : لقد مت قبل الاوان ، لم يترك لى الوقت لكى
أحقق بطولاتى .

اينيز : انما يموت الانسان دائما قبل الأوان .. أو بعد
فوات الاوان ، وفى كلا الحالين تكون حياة الانسان
كلها قداكتملت وفى تلك اللحظة يجب عليه ان يصفى
الحساب ، فانك لست شيئا آخر غير حياتك .

جارسان : أيتها الحية الرقطاء ، عندك لكل سؤال
جواب !

اينيز : هيا ! هيا ! لا تيأس ! ليس اقناعى بالأمر العسير
استجمع ارادتك يارجل ، وحاول أن تجد بعض
الاعذار ، (جارسان يهز كتفيه) آه ، ألم أكن على

حق حين قلت لك أنك قابل للطعن ؟ آه ، ستدفع الثمن ، وياله من ثمن ! أنت جبان ياجارسان ، لانى اريد ذلك ، فهل تسمع ؟ أريد ذلك ! ومع هذا أنظر الى ، هل ترى كم أنا ضعيفة ! لست الا نفسا يتردد فى الهواء . نظرة تراقبك ، فكرة بلا شكل تحاول فهم حقيقتك . (يندفع اليها ويداه مبسوطتان) آه ، هاهما تنبسطان ، هاتان اليدان الكبيرتان ، هاتان اليدان الغليظتان ، يدا الرجل ! ولكن ماذا تريد ؟ انك لاتستطيع باليدين أن تخنق الافكار . ليس امامك اى مجال للاختيار ، وينبغى عليك أن تقنعنى ، انك فى قبضة يدى !

استيل : جارسان .

جارسان : ماذا ؟

استيل : اثأر لنفسك .

جارسان : وكيف ؟

استيل : قبلنى ، وسترى أنها تموت كمدا !

جارسان : هذا عين الصواب ، يا اينيز ، أنا فى قبضة يدك ، ولكنك انت أيضا فى قبضة يدى !

(يميل على استيل ! اينيز تبعث بصرخة)

اينيز : اوه ، أيها الجبان، أيها الضعيف . تعزى نفسك مع النساء ؟

استيل : هذا صحيح ، يا اينيز ، ازعقى بأعلى صوتك.

اينيز : كم تلائمان بعضكما ! آه ، لو رأيت كفه الضخم مبسوطا على ظهرك ، وقد ضغط على كرش ثوبك الحريرى ، احذرى رغم هذا (انه ينضح بالعرق وستترك يده على ثوبك علامة زرقاء .

استيل : اصرخى يا اينيز ، اصرخى ، ضمنى اليك بقوة ياجارسان ، فسوف يقتلها هذا كمدا ، وياله من نهاية !

اينيز : نعم ، ياجارسان، انها على حق، استمر، ضمها اليك بقوة ، حتى تشعر ان جسديكما يذوبان ، يذوبان أحدهما فى الآخر مثل كتلة من اللحم الدافئ النابض ، ان الحب عزاء عظيم ، أليس كذلك ، ياصديقى ؟ عميق ومظلم مثل النوم ، ولكننى سأحرمك طعم النوم .

(اشارة من جارسان)

استيل : لاتصغ اليها ، اضغط بشفتيك على فمى ، أوه ، اننى ملكك ، ملكك ، ملكك .

اينيز : حسنا ، ماذا تنتظر ؟ افعل ما تؤمر به ، ياله من مشهد جميل ، الجبان جارسان يفهم استيل قاتلة الاطفال ، يضمها بين ذراعيه القويتين ، ويضع كل واحد رهانه . هل يجرؤ جارسان الجبان على تقبيل

السيدة ، أم لا ؟ ماهو رهانكم ، اننى أراقبكما ،
كل شخص يراقبكما ، وأنا وحدى جمهور بأسره.
هل تسمع صوت الجمهور ياجارسان ؟ هل تسمع
الجمهور ؟ هـل تسمعه وهـو يهمهم ياجارسان)
يهمهم ، ويتمتم .. جبان ! جبان ! جبان ! جبان !
هذا مايقوله الجمهور .. وعبثا تحاول أن تهرب .
لن أدعـك تفلت ، ما الذى ترجـوه من شـفتيها
السخيفتين ؟ النسيان ؟ ولكننى لن أنساك ، لست
أنا التى أنسى ! أنا التى يجب عليك أن تقنعنى ،
فتعال .. اننى انتظر ، تعال الآن .. انظرى كم
هو مطيع ، مثل كلب مدرب يجىء عنـدما تناديه
سيدته ، انك لاتستطيعين الاحتفاظ به ، ولن
تحتفظى به .

جارسان : الن يأتى الليل ابدا ؟

اينيز : ابدا .

جارسان : وسترينني دائما ؟

اينيز : دائما .

(جارسان يتحرك بعيدا عن استيل ، ويأخذ بضع
خطوات عبر الغـرفة ، يتجـه ناحيـة التحفـة
البرونزية)

جارسان : هذا البرونز . (يربت عليه متأملا) نعم ، هذه
هى اللحظة ، وهأنذا انظر الى هذا الشىء وأعلم اننى

فى الجحيم ، قلت لكم ان كل شيء مرتب من قبل ، فقد كانوا يعلمون اننى سأقف بجوار المدفأة ، اربت بيدى على هذا الشيء من البرونز ! وكل هذه النظرات منصبة فوقى .. تلتهمنى ! (يلتفت فجأة) ماذا ؟ مجرد اثنتين ؟ وكنت اظنكما اكثر عددا . (يضحك) اذن ، هذا هو الجحيم ! لم اكن لاصدق ابدا ، هل تذكران كل ماقيل لنا عن غرف التعذيب ، والنار ، والوقود ، والطين المحترق ، يالها من حواديت عجائز ! ليست هناك حاجة الى اسياخ الشوى .. ان الجحيم هو الآخرون !

استيل : حبيبى ، ارجوك .

جارسان : (وهو يدفعها) دعينى ، انها بيننا ، وليس فى مقدورى ان احبك وهى تراقبنى .

استيل : حسنا ، فى هذه الحالة سأمنعها من مراقبتنا . (تتناول قطاعة الورق من فوق المنضدة ، وتهجم على اينيز ، وتنهال عليها طعنا)

اينيز : (ضاحكة ، وهى تحاول التخلص منها) انت ولاشك مجنونة ، ماذا تظنين نفسك تفعلين ؟ انت تعرفين تماما اننى ميتة !

استيل : ميتة ؟

(تسقط قطاعة الورق من بين يدها ، تسود فترة

صمت ، اينيز تلتقط الوراقة ، وتنهال على نفسها
طعنا فى جنون)

اينيز : ميتة ! ميتة ! فلا السكين ، ولا السم ، ولا حبل
المشنقة ، كلها تجدى ، فقد تم ذلك من قبل ،
افهمت ؟ للمرة الاخيرة ، كم هو مضحك ، أن نظل
هنا معا الى الابد . (تضحك) .

استيل : (تنفجر ضاحكة) الى الابد ؟ ياالهى ، ماأغرب
هذه الفكرة ؟ الى الابد ؟

جارسان : (ينظر الى المراتين ، ويشاركهما الضحك) الى
الابد ، والى الابد ، والى الابد .

(يتهادون جالسين كل منهم على اريكة ، تسود فترة
صمت طويلة ، يتلاشى ضحكهم ، ويموتون كل منهم
فى الآخر)

جارسان : اذن ، لنستمر !

ستار



الأيـام السعيدة

للكاتب العبثي صمويل بيكيت

هذا الكاتب العبثى ..
وهذه المسرحية اللامعقولة !

لقد تعودتم أن تروا شكل العمل الفنى منفصـــلا عن فحواه تعودتم أن تتلقوا المضمون من غير أن تعانوا تجربة الشكل .

صمويل بيكيت

● بيكيت ويونسكو .. هـــذان الكاتبان جاء كل منهما من نبع ليصب فى واد ، فاتفاقهما تلاق بين عقليتين، واختلافهما تبــاعد بين مزاجين، ولكنهمـــا باتفاقهمـــا واختلافهما معا استطاعا أن يتزعما أكبر مظاهرة درامية فى العصر الحـــاضر ، مظاهرة أخـــذت تكبر وتتطـــور ويســـتفحل أمرها ، حتى أصبحت فى النهـــاية تشـــكل

ثورة من أخطر ما شـــهده تاريخ الأدب المسرحى من ثورات - وهى الثـــورة التى يطلقـون عليهـا أحيـانا إسم العبث وأحيـانا أخـرى اســم اللاعقـول ، والتى مهما اختلفت تسميتها الا انها لا تقـل فى عنفهـا وخطر نتائجها عن تلك الثورة التى أحـدثها بيكاسـو فى الفن الحـديث ، حينمـا نادى بضرورة أن نســتبعد لفظ «الصورة» ونستخدم لفظ «اللوحة» ، لان استخدامنا لفظ «تصوير» هو الذى يوحى بأننا ازاء صور لاشـياء يمكن معرفتها على الفور ، وتسميتها بأسماء نستخدمها فى حياتنا اليومية . فى حين أناللوحة يجب تعريفها بأنها مسطح يحمل الوانا موزعة بشكل معين ، وأن اللوحة فى صميمها غاية نفسها ، لا مجرد وسيلة لاستثارة قصص ومعانى وافكار تنتمى الى دائرة الوصف الادبى ، لا الى دائرة التحليل الفنى التشكيلى .

وهذا معناه ان فن التصوير الحديث قد أصبحت له لغته الخاصة - التى تقتضى منا اعادة تربية العين من الوجهة الجمالية او من الوجهة الاستاطيقية لقراءة اللوحة التجريدية قراءة جـديدة ، مختلفة كل الاختلاف عن قراءتنا التقليدية للوحة التجسـيدية ذات الموضـوع الواقعى المجسم أو المشخص ، طالما أن الفن التجريدى الجديد ، الذى يمكن تسميته بالتصوير اللاتصـورى أو بالفن التشكيلى اللاشكلى جديد فى كل شىء .

ومصدر الخطورة فى هذه الثورة .. ثورة العبث أو اللامعقول ، انها طرحت فضية الفن الدرامى طرحا جديدا ، وانتهت الى أن الفن الدرامى الحديث ليس تطويرا للفن الدرامى القديم بمقدار ماهو ثورة عليه ، فالفن القديم تقليد ومحاكاة ، أما الفن الحديث فخلق وابتكار ، وهو لايصور الطبيعة ويكرر الاشياء بل يحاول أن يوسع من نطاق الطبيعة وأن يضيف الى الاشياء ، ويحاول كذلك أن يثور على الواقع الخارجى المألوف لا بتقديم مايشبهه ويحاكيه بل بتقديم مايعادله ويوازيه، ومن هنا جاء بحث الفنان الدرامى الجديد عن عوالم أخرى جديدة ، وعن ايقاعات ومؤثرات جديدة ، بل وعن قيم ومبادىء فنية جديدة مغايرة لتلك التى اعتدناها من زمان فى الفن التقليدى .

ولانذهب بعيدا اذا قلنا ان مسرح العبث كان رد فعل للمسرح الوجودى ، بل كان فى شكله ومضمونه معركة فكرية مع هذا المسرح ، بعد أن عجزت شخصيات هذا المسرح المحكوم عليها بالحرية كما تقول عبارة سارتر أو المسئولة عن «دم الآخرين» كما يقول عنوان مسرحية سيمون دىبوفوار ،أن ترضى الشباب الساخط والرافض فى السنوات الأخيرة ، وهى السنوات التى أعقبتالحرب العالمية الثانية ، وجعلت الشخصيات الانسانية مطمورة فى شئون الحياة اليومية ، غريقة فى دهاليز الصمت ، وسراديب الفراغ ، لاتتصل بغيرها الا بمقدار وعيها بذاتها لانها غافلة عن معنى وجود الآخرين .

وهكذا استطاع بيكيت ويونسكو كلاهما أن يزحزحا سارتر عن مكانه ، وان يحلا شخصية الانسان الشاعر بغربته وغرابته واغترابه . محل شخصيات الوجوديين.. تلك الشخصيات الثرثارة المحكوم عليها بالحرية . كما استطاع كتاب العبث من أمثال آداموف وآرابال وأوديبرتي وجان تارديه وجان فوتييه وجان جينيه ، فضلا عن الكاتب رينيه دي أوبالديا ، والشاعر العربي الاصل جورج شحاده ، أن يجسدوا ماوصفه يونسكو «بالشعور باللاواقع» وأن يردوا الى الجسد البشرى اعتباره ، وأن ينزعوا عن الشخصية الوجودية رداء المنبرية وتبعة التفلسف . لكى يفتحوا آفاقا جديدة فى الرؤية والتجربة، فى اللغة والاسلوب ، فى كل ماكان لابد للمسرح أن يخطوه بحثا عن طريق أو طرق جديدة .

غير أن هذا الطريق الجديد فى المسرح، الذى افتتحه كتاب العبث وان لم ينتهوا من وضعه بعد ، قد أوجد نوعا من سوء التفاهم بين الكاتب والجمهور ، الامر الذى جعل من واجب الناقد الدرامى أن يبذل قصارى جهده للتخفيف من حدة سوء التفاهم هذا ، والذى يضاعف من احساس الناقد بهذه المسئولية ، ان مسرح العبث لم يعد مسألة فرنسية بحتة ، وانما تأثير هذا المسرح استطاع أن يعبر نهر السين ، ليبسط ظلاله تأليفا وتمثيلا على أنحاء مختلفة من العالم ، ولتجد فيه الطبقة المثقفة الساخطة والرافضة والباحثة عن قيم حضارية

جديدة ، شيئا مفاجئا ومبهرا ، هو فى حقيقته مزيج من النقد الاجتماعى القاسى ، والنزعة الميتافيزيقية الحادة، وشهوة تمزيق الواقع وتشويهه كتعبير عن الصراخ فى وجه العصر !

وعلى ذلك ، فان بدا عمل الفنان الدرامى الحديث « لامعقولا » فلأنه ابتكار ، والابتكار لايكون كذلك الا اذا كان غير مألوف ولامعتاد ، وان بدا عمله خاليا من المعنى ، فلأنه لايستطيع أن يفصح عن معناه ، ولان الخلق نفسه هـو المعنى ، وان بدأ أنه لايدل على شىء ، فذلك لأنه لايصور شيئا ، وانما يخلق شيئا آخر جديدا ، وهذا كله هو ماعبر عنه بيكيت بقوله :

« اننا هنا أمام عمل يحتوى تعبيرا صريحا مباشرا ، فان أنتم عجزتم عن فهمه وادراكه ، فالعيب فيكم وليس العيب فى الاشياء ، وماذلك الا لانكم تعودتم ان تروا شكل العمل الفنى منفصلا عن فحـواه ، تعـودتم أن تتلقوا المضمون من غير أن تعانوا تجربة الشكل » .

غير ان الشكل الذى يهتم به بيكيت ، ليس هـو الشكل بمعناه المألوف المعتاد ، والذى نضعه فى مقـابل المضمون ، وانما هو شكل المعنى .. او شكل الفكرة ان صح هذا التعبير ، فبيكيت بعد أن استقام له المضـمون وبلغ به اقصى مداه ، وذلك فى صـورة نظـرة عامة الى المواقف والاشخاص والاشياء ، نظـرة مـؤداها عبارته

المشهورة التى رفعها شعارا لفلسفته : « اننا نخرج من ظلمات الرحم الى ظلمات القبر مارين بظلمات الحياة» .
اقول ان بيكيت لما استقام له المضمون استدار الى الشكل لا شكل المضمون وانما شكل الافكار ، فعند بيكيت أن الفكرة لها شكل ، هذا الشكل هو مايهمه وان كان لايؤمن به ، وهذا مايعبر عنه بقوله : «اننى لأهتم بشكل الافكار، وان كنت لا أومن بها» . وهو يضرب لذلك مثلا عبارة قالها القديس اوغسطين عن اللصين اللذين صلبا الى جوار السيد المسيح ، احدهما هلك والآخر نجا ، يقول : «لاتغفر فأحد اللصين هلك .. لاتيأس فأحد اللصين نجا» . فهذه العبارة عند بيكيت لها شكل .. هذا الشكل هو الذى يهمه ، كائنا ماكان المعنى الكامن فى بطن الشكل !

والواقع ان هذا الاتجاه فى الفن له سوابقه فى الفلسفة ، وبخاصة عند الفيلسوف الالمانى المعاصر ارنست كاسيرر ، الذى ذهب فى كتابه الكبير والشهير : « فلسفة الاشكال الرمزية » الى أن الفعاليات الانسانية .. كالاسطورة والدين واللغة والفن والتاريخ والعلم تمثل صورا أو رموزا أو اشكالا للحضارة الانسانية ، وهى على تكثرها وتنوعها ترتد جميعا الى وحدة واحدة، ولابد لنا أن ندرس هذه الاشكال لكى نتعرف على الوضع الموضوعى لكل منها ، ولكى نكتشف هذه الوحدة الوظيفية التى تربط بينها ، فنحن على حد تعبير هذا

الفيلسوف المعاصر : «نضع اشكالا داخلية للاشـــياء والافكار الخارجية» . والفن كسائر الاشــكال الرمزية ليس نسخا حرفيا لحقيقة جاهزة معطاة ، وانما هـــو احدى الطرق المؤدية الى نظرة موضوعية للاشياء وللحياة الانسانية !

ان لمسات الفرشاة هى فى الوقت ذاته همســات فكرية ، والمسرحية التى تتكون من منظومة من الاشارات والرموز ليست الا مرآة تعكس تأملات الفنان .. لا فى العالم الخارجى فحسب ، بل بصورة خاصة فى العالم الداخلى الذى يعيش فيه الفنان فى أعماق ذاته ، لقـد أصبح الكاتب العبثى كالفنان التجريدى ، لايعبر عن نماذج خارجية ثابتة ومنســقة الى حـد كبير ، بل عن نماذج داخلية هى اقرب الى البوادر والسوانح منها الى الافكار الواضحة أو الأشياء الجاهزة .

وعلى ذلك فالمسرح العبثى يتحدى المسرح ، فهو لايقص قصة ، ولايحكى حـكاية ، ولايســعى للربط أو الحبك ، فالحبكة تكاد تكون معدومة ، والموضوع لايتكون من حوادث تتابع فى الزمن ، بل من حوادث قليلة تافهة تقع فى آن واحد ، كما أنه لايتكون من سلسلة أحاديث تعبر عن أفكار مترابطـة ، لانه ليست هنـاك حـوادث تتسلسل فتتعقد وتنفرج حينا لآخر ، واذا كان لابد من ألفاظ لادارة الحوار ، فهى ليست ألفاظ مستمدة من اللغة التى نستعملها لتوصيل المعانى الى الآخرين ، واذا

كان لابد لهذه الالفاظ من أن تعبر عن شيء ما ، فليس هو الشيء العادى أو المألوف الذى يجد قوالب اللغة مهيأة للتعبير عنه .

ان كتاب العبث او اللامعقول لايتناولون فى مسرحهم تلك الموضوعات الخالدة التى الهمت كبار الكتاب الكلاسيكيين ، فهم لايتحدثون عن الحب والكراهية ، او الغيرة والجشع ، أو الخيانة والبطولة أو ماشابه ذلك مما نجده فى مسرحيات كورنى وراسين ، أو حتى جان جيرودو وجان أنوى ، وهم لايصورون شخصيات فى موقف ، شخصيات تختار ماهيتها من خلال وجودها فى موقف بالذات ، على نحو مانجد عند الكتاب الوجوديين من أمثال سارتر وكامى وانما كتاب مسرح العبث يتناولون العواطف البشرية فى طورها الجنينى ، فى شكلها الرخو المائع ، فى حالتها البدائية الاولى ، ومع ذلك فان هذه الشخصيات العبثية لاتلبث طويلا حتى تدب فيها الحياة ، وعلى الرغم من أنها نكرة وعارية من الاوصاف الاجتماعية الدقيقة ، فانها تمثل نماذج حية واقعية من بنى الانسان !

ومن هنا ، كانت ثورة العبث أو اللامعقول ثورة جديدة كل الجدة ، فهى تتضمن التجديد فى الشكل والمضمون معا ، وهى حركة بذاتها لايمكن مقارنتها بحركات درامية اخرى كالواقعية والتعبيرية اللتين لم تتضمنا سوى التجديد فى المضمون ! فالاولى لاتزال

تستوحى الواقع الخارجى وان سعت الى تفسير هـــذا الواقع أو تغييره ، فهى تتغلب على مشكلة البعد الثالث برده الى البعدين اللذين يتمثلان فى المشكلة والحـل ، وتسمح للمتفرج بأن يدور حول المشكلة دون أن يتحرك . فالمتفرج هو المركز والعالم يدور من حـوله ، على نحـو يذكرنا بالنظرة القديمة التى تجعل من الارض مركز الكون ومن الانسان محور الوجود ، أما التعبيرية باستلهامها النموذج الداخلى الذى يحمله الكاتب الدرامى فى أعماق ذاته ، تحاول أن تقدم مضمونا مثيرا للدهشة والاعجاب، بشىء بالقلق الذى يسيطر على قلب الانســـان المعاصر ، وصراعه مع عصر الآلة والميكنة وكل ماهو صناعى وينشد شيئا من السلوى والعزاء يضىء فى جوانب قلب الانسان المعتم وميضا من الامل . اما العبثية فانها تقدم اللحن الاخير فى سيمفونية المأســاة ، أو هى على حـــد تعبير الفيلســوف العظيم نيتشه « مولد المأســـاة من روح الموسيقى » ... لقد شـــدت الاوتار الى أقصى مداها ، فانعدم اللحن ، وماتت النغمة ، ودوت صرخة حادة ، بل صرخة صامتة من شدة حدتها ، صرخة استفهام !

ثم ماذا ؟

لاشىء .. وكل شىء !

لاشىء سوى عودة الحياة الرتيبة المألوفة ، والكلام المتداول المتواتر ، فقد التحمت القشرة وسمكت ، وزال

لدوار ورسخت الاقدام ، وجمدت الابتسامة ، وخبت
لنار فى العينين ، وعاد القناع الى الوجه القديم .. فهيا
يها الخادعون المخدوعون ، البسوا أقنعتكم ، وعودوا
لى عملكم اليومى الرتيب ، ان عجلة الحياة لابد أن تدور!
جل لابد أن تدور !

ونعود الى بيكيت ويونسكو باعتبارهما صاحبى
لدور الطليعى فى هذه الحركة الجديدة ، لنقول انهما
إن جمعت بينهما ملامح عامة وسمات مشتركة ، او
اختصار ان اتفقا على الخطوط الاساسية لهذه الحركة ،
فان تطبيق هذه المبادىء ، أو بالاحرى نوعية التطبيق
تختلف من واحد لآخر تبعا لاختلاف الحدس الدرامى
لبسيط الذى يبدأ منه الكاتب ويعود اليه أبدا ..

فيونسكو انصبت ثورته على «العادات اللغوية»
وصفها موصلا جيدا من مواصلات التفاهم بين الناس ،
و بالأصح موصل ردىء لتحقيق هذا التفاهم ، ذلك لان
- يونسكو استطاع أن يكتشف حقيقة على جانب كبير
من الخطورة والاهمية ، هى أن اللغة التى نظن أننا
نتواصل بها ونتفاهم ، قاصرة عن تحقيق أى نوع من أنواع
التواصل أو التفاهم ، بل كثيرا ماتؤدى بنا الى أن نتقاطع
ولانتفاهم ، حتى ليشعر الفرد أحيانا وكأنه فى عزلة عن
مجتمعه ، بعد أن انقطعت وسائل الاتصال بينه وبين
الآخرين ، تماما كما كان العجوزان بطلا مسرحية
«الكراسى» يعيشان فى قلعة مهجورة بجزيرة نائية ، لانهما

لايعرفان كيف يتصلان بأفراد المجتمع .. فاللغة عقبة فى طريقهما ، كراسى فى عرض الطريق (ولقد تكلم يونسكو كثيرا وعديدا عن موقفه من هذا المسرح الجديد ، سواء فى محاضراته أو مقالاته او تحقيقاته الصحفية ، ومن خلال كلامه كشف عن مدى كراهيته للمسرح العقائدى أو مسرح الايديولوجيا ، وربما كانت مسرحيته «عابر الهواء» أبلغ اعماله فى التعبير عن هذا الموقف . فهو يقدم لنا شخصية مؤلف توقف عن الكتابة ، لانه لم يعد يجد سببا يدعوه الى الكلام ، ويجيب هذا المؤلف على الاسئلة الموجهة اليه فى تحقيق صحفى ، لعله ان يكون من أهم التحقيقات الصحفية التى اجاب عليها يونسكو نفسه، فيقول ان هناك قوة باطنية غامضة كانت تدعوه فيما مضى الى الكتابة ، على الرغم من النزعة العدمية المسيطرة عليه حتى الاعماق ، غير انه قد أصبح عاجزا تمام العجز عن مواصلة الكتابة : «لقد ظللت سنوات طويلة أعزى نفسى بعض العزاء بأنه لايوجد شىء يمكن أن يقال . اما الآن فقد اقتنعت بهذا الرأى كل الاقتناع » .

والواقع أن يونسكو بهذه الكلمات انما يعبر عن رأيه أصدق واروع تعبير ، فقد ظل يؤكد ويؤكد أن مسرحياته لاتحمل أى معنى أو أية رسالة ، وطالما سخر من بريخت واصفا اياه بأنه «ساعى بريد» يحمل رسائل الى الناس ، أما هو فليس لديه مايقوله لهذا العالم !

أما بيكيت فقد اتجهت ثورته أكثر ما اتجهت الى «عادات السلوك» ، فالانسان يقف وحده وفى ذات الوقت يحاول أن يكون مع غيره ، ولكنه عندما يجد هذا الغير يصبح الاتصال مستحيلا ، فاذا اصبح الاتصال ممكنا ، فان هذا الغير يكون مشغولا عنه ، مشغولا عنه بنفسه أو بغيره أو بأشياء أخرى ، والنتيجة دائما أن الانسان يظل وحده فى مواجهة نفسه وغيره والكون كله ، واخيرا لايجد قيمة لشىء ... لا لنفسه ولا لغيره ولا للكون كله .

وهنا نجد أن بيكيت يعارض الشاعر الانجليزى الكبير كولريدج فى عبارته الشهيرة «لايمكن ان يوجد «انا» بدون «أنت» ولايصبح الانت ممكنا الا بفضل معادلة يكون فيها الانا مساويا « للأنت » ومع ذلك مختلفا معه » .

فعادات السلوك .. باعتبارها ادوات عازلة تحول دون الاتصال اللمسى بالاشياء ، وتقطع على الذات كل سبل الاتجاه المباشر نحو الموضوع ، وباعتبارها أيضا أدوات خادعة توهم «الواحد» بأنه متفاهم مع الآخرين ، والحقيقة أن بين الاثنين سدودا عالية ومسافات طويلة ، تماما كتلك التى كانت بين «كلوف» و «هام» فى مسرحية «لعبة النهاية» وبين «فلاديمير» و «استراجون» فى مسرحية «فى انتظار جودو» وبين «وينى» و «ويللى» فى مسرحية «الايام السعيدة» التى نحن بصدد الحديث عنها الآن .

فهنا شخصيات مسخت بينها الصلاة الاجتماعية، فاصبحت المشاعر مغلقة على نفسها ، والعواطف مسجونة فى قفصها الصدرى ، وماتصدره هذه الشخصيات من كلمات اشبه بتأوهات الجرحى ، أو استغاثات الغرقى ، لقد نسيت هذه الشخصيات كيف تتكلم ، لانها نسيت كيف تفكر ، ونسيت كيف تفكر لانها لم تعد تعرف الشعور والعواطف ، وعلى ذلك نسيت كيف توجد ، بل وكيف تتواجد ، لقد غدت مخلوقات ممسوخة ، قابلة للتبازل بعضها مع البعض الآخر ، فهى تتحرك فى فراغ مملوء بالشعارات الجوفاء والعبارات المكرورة ، وهى تتصرف بحيث تجرى على السنتها الالفاظ هامدة بلا حياة ، وهذا التحرك بلا تقدم ، وهذا التصرف بلا اتجاه يقودنا الى عالم الصمت المعنوى للفراغ الفسيح، فهنا الصوت كالصمت كلاهما يقودنا الى عالم فقد جهاته الاربع ، فضاع الطريق تحت اقدام الانسان !

لقد تجاوزت اللغة فى مسرح العبث ، حدودها التقليدية ، وراحت تلعب هى نفسها دورا فى المسرحية . دورا تصير به ذات أهمية لاتقل عن الحدث نفسه فى تجسيم الموقف ، ولاتقتصر على مجرد الوساطة اللغوية فى التراسل بين الشخصيات ، بل يصبح الاشخاص مجرد حاملين للغة تشف عن الآلية والعبث ، وتكشف عن انعزال الفرد فى مجتمع ضحلت فيه المعالم الانسانية ، فانطوى الوعى الفردى على نفسه ، وقامت اللغة سدا عاليا يحول دون تراسل صنوف الوعى ، ودروب الادراك .

واذا كان هـذا الاتجاه العبثى ، بهـذا التوظيف الجديد للغة ، قد رفع من قدر وظيفتها الدرامية ، الا انه فى ذات الوقت ، قضى على معناها الاجتماعى ، وهـذا هو معنى تسمية هذا الاتجاه بأنه النزعة المسرحية المضـادة للمسرح ، أو بالنزعة اللامسرحية ! بل نستطيع ان نقول انه اذا كان الفكر الانسانى قد مر بثلاث مراحل رئيسية، هى : اعرف الطبيعة .. اعرف نفسك .. اعرف غيرك، وكانت المرحلة الاولى تنتهى عند سقراط حيث كان حكماء اليونان يهتمون بدراسة العالم الطبيعى ، ثم بدات المرحلة الثانية مع سقراط الذى انزل الفلسفة من السـماء الى الارض ، بمعنى انه وجـه اهتمام المفكرين الى معـرفة الذات او معرفة الانسان لنفسه ، ثم جـاء الفيلسوف الالمانى هوسرل ومن بعده الفينومينولوجيين والوجوديين فوجهوا التفكير نحو معرفة الآخرين ، فهاهو صموئيل بيكيت الفيلسوف الدرامى الكبير الحائز على جائزة نوبل للاداب ، يطرح موضوع «معرفة الآخر» طرحا جـديدا بحيث يثير حوله العديد من الاسئلة :

هل معرفتى لنفسى سابقة على معرفتى لغيرى ، أو الامر على عكس ذلك ، أم ان المعرفتين متعاصرتان ؟

هل ادراكى للآخر ادراك مباشر ؟ وهل معرفتى له تبزغ من الداخل أم هى مفروضة من الخارج ؟

ماهى انواع الادوات التى يقـوم بها كل من الأنا والآخر ؟

وعند صمويل بيكيت انــه اذا كان تكوين المجتمع يتطلب على الاقل وجود اثنين ، فان الاجابة على الاسئلة السابقة قـد تضىء الطريق الى معـرفة طبيعة المجتمع البشرى ، وانمـاط العـلاقات الاجتماعيـة فى المجتمع المعاصر ، سـواء فى اشكالها السـوية او فى اوضـاعها الشاذة ، فهو يقول :

« لاتهتم التراجيديا بالعـدالة الانسانية ، انمـا التراجيديا قصة تكفير ، ولكنه ليس التكفير الرخيص عن مخالفة قانون محلى وضعه الخـدم المأمورون من اجـل الحمقى المجانين ، فالصورة التراجيدية تمثل التكفير عن الخطيئة الاصلية والابدية للشـخص ، ولكل شركائه فى الشر ، خطيئة مولده على الارض» .

وهذا معناه ان الصورة التى يعرضها علينا بيكيت صورة ميتافيزيقية ، وان العـلاقات الاجتماعية فيهـا ليست سوى مظهر من مظاهر القلق الميتافيزيقى للانسان، انه مخلوق يدفع ثمن خطيئة لم يرتكبها او لم يدرك انه قد ارتكبها بعد ، و «جودو» لايأتى فى الموعد المضروب ، او لعله غير موجود اصلا ، وبذلك يترك الانسان فى عالم لامعنى له ، وعليه ان يجد لهـذا العـالم معنى .. اى معنى !

ولذا فان لحظات الصحو الانسانى لاتكشف للانسان شيئا ، ولاتعود عليه بغير الالم والمعاناة ، لذا نراه يميل

الى الاغراق فى عادات قد تكون مملة ، ولكنها على الاقل نوع من «الخفوت العظيم» !

ان استراجون فى مسرحية «فى انتظار جودو» يهيب بفلاديمير :

«قل انك مسرور ، حتى ولو لم يكن ذلك صحيحا»

استراجون : اننى مسرور

فلاديمير : وانا كذلك

استراجون : وانا كذلك

فلاديمير : اننا مسروران

استراجون : اننا مسروران «سكون» ماذا تفعل الآن ونحن مسروران ؟

وبعد لحظات قليلة اذ ينضب معين الكلام ، يقترح جوجو قائلا : «فى هذه الاثناء دعنا نحاول أن نتحدث بهدوء دون أن يجرفنا الحماس ، مادمنا عاجزين عن أن نظل ساكتين » .

فلاديمير : انت على حق ، فحديثنا لاينضب

استراجون : وهكذا لن نفكر

ويتلو ذلك حوار من الشعر الرفيع ، يصفان فيه أصوات الماضى الميتة التى تصدر حفيفا كأوراق الشجر، وكالريش والرماد ، حتى أصوات الماضى هذه مضطرة الى أن تتحدث عن حياتها :

فلاديمير : ليس بكاف لها أنها قد عاشت

استراجون : عليها أن تتحدث عن تلك الحياة .

وصمويل بيكيت اذ تصدر عنه مثل هـذه النظرة المتشائمة . يضطر الى احداث نوع من رد الفعل السريع لهذه النظرة البالغة السواد العميقة التشاؤم ، مبعثها أنه كاتب هزلى عظيم الاصالة ، تقول «نل» فى مسرحيـة «لعبة النهاية» : «لاشىء أبعث على الضحك من الشقاء». ثم تضيف : «نعم .. نعم انه أشد مافى العالم هزلا» ويكاد بيكيت يقنعنا بأن «نل» على صواب ، لان فرحها مبنى دائما على بؤس الانسان .

وفى بداية « لعبة النهاية » عندما يقول « هام » «لايوجد احد آخـر» ويصرخ كلوف «لايوجـد أى مكان آخر» فان الموقف يصبح قابضا للنفس جاثمـا فـوق الصدر ، ولكننا حينما نكتشف بعد لحظات قليلة أنه لم تعد توجد اطارات للدراجات ولا عصيدة ولاطبيعة ، فان الموقف يصبح على الفور أشـد اثارة للرعب والفكاهة معا !

وهكذا نرى أن نظرة بيكيت للحياة ، هى فى جوهرها نظرة ميتافيزيقية ، إنها نظرة الانسان الذى يبحث عن معنى وراء أحداث الحياة العابرة المتبذلة ، وعن غـرض أبعد من قضاء الحاجات الطبيعية لزمان معين او مكان بالذات ، وهو مايتجلى فى الم الوقوف على العبث ، ثم فى الصراع من أجل ايجاد معنى للحياة .

وتاسيسا على هذا كله ، نعود الى مسرحية « الأيام السعيدة » . لنجد أنه في هذه المسرحية كما يقول بيكيت: « .. لاشيء يحدث .. لاشيء يحـدث على الاطـلاق : لا احداث تقع ، ولاشخصيات تتصارع ، ولاعقدة توضع ثم تنفرج ، ولاهدف واضح او لحظة تنوير ، وأخيرا لا بداية ولا وسط ولا نهاية . لأنه اذا انعدم المكان وضاع الزمن ، اصبح كل شيء داخلا في كل شيء ، واصبحنا نحن المتفرجين في منطقة انعدام الوزن الدرامي » .

فالمسرحية مسرحية جو ومناخ . والجو لا يفهم ولكنه يعاش ، والمناخ لايعقل ولكننا نتأقلم فيه ، انها اشـبه بلوحة من لوحات بيكاسو .. لا تحاول أن تفهمها .. أما ان تحبها أو تكرهها ، فليس هنـا حوادث كمـا قلنا ولا شخصيات ولا عقدة ولا شيء من هذا كله .. كل ما هنا انغام عامة .. وألوان عامة .. وخطوط عامة ، ومن هذه الصفات العامة يرسـم المتفرج في ذهنـه خـريطة ما للمسرحية !

ذلك لأن بيكيت يرفض كـل هـذه المعطيات التي يتالف منها المجال الدرامي القديم ، ويستبدلها بمعطيات اخرى جديدة ، نراها بوضـوح صـارخ في الصياغة المسرحية التي بلغت حدا كبيرا من الروعة والبراعـة سويا .. حيث الأداء الصامت احيـانا ، والتصـوير الصوتي احيانا أخرى ، والسكنات والحـركات الدالة احيانا ثالثة ، ثم الحوار المفعم بالطاقة الشاعرية ، وأخيرا

المواقف الكوميدية المؤسية التي تعتمد أساسا على التناقض الجذري العميق في كل أبعاد المجال الانساني .. أعني على ملكة التهكم والسخرية .. تلك التي تدرك أوجه الشبه بين المختلفات وأوجه الخلاف بين المتشابهات ، أو تلك التي تلتقط أوجه المفارقة بين الواجب والحاصل ، بين الظاهر والباطن ، بين الصحيح والزائف ، أو باختصار بين ماهو كائن وماينبغي أن يكون !

ومن هنا لم تكن السخرية عند بيكيت نوعا من الفكاهة الفقاعية المسطحة ، التي تعتمد على التلاعب الرخيص بالألفاظ ، بل هي شيء يرتبط بالحاسة الخلقية أو بالاحساس بالواجب ، فلئن بدا بيكيت متشائما في بعض الأحيان ، فليس هو التشاؤم الذي ذهب اليه شوبنهور بدافع اليأس والقنوط والفرار من الحياة ، وانما هو من قبيل التشاؤم الذي ذهب اليه توماس هاردي بدافع الأسف الحزين على الانسانية .. الانسانية التي يمكن لمستقبلها أن يكون أسعد من ماضيها اذا نحن أردنا ذلك وحاولناه !

ومن هنا أيضا كان بيكيت سلالة ايرلندية أصيلة تحمل جراثيم الذكاء واللماحية والغوص الى الأعماق ، تلك التي رأيناها تجري في دماء « أوسكار وايلد » و « برناردشو » و « سين أوكيزي » فضلا عن الكاتب العظيم « جيمس جويس » !

ومن هنا أخيرا كانت هذه المسرحية من بين مسرحيات بيكيت نوعا من الملهاة المؤسية ، تراجيكوميديا . حيث الملهاة في جوف المأساة ، أو الملهاة التي تتزيا بالأسى وتنز بالتوجع لتواجهنا بتراجيديا الوجود البشري ، والمصير الانساني . وهـذا ما سـماه بعض فلاسـفة الوجودية المعاصرة بالسرور المتألم أو الألم السـار . والسـعادة الآسفة أو الاسف السعيد .. فالسعادة في مسرحيـة « الأيام السعيدة » هي سهد الذكرى وأرق الانتظار !

واذا كنا في دراما بيكيت قد فقدنا العقدة وفقدنا الشخصـيات ، لأن الأحداث قد تلاشـت والفروق بين الشخصيات قد انعدمت ، وأصبحنا أمام واقع التحم فيه الشكل بالمضمون حتى لم يعد يبق فوق سطح هذا الواقع غير مواقف انسانية جامدة قوامها الانفعال وردود الافعال فان دراما بيكيت لها مفاتيح أخرى نجدها في التنبيهات المسرحية التي نص عليها في الديكور وفي الاضاءة ، فهو يرفض كل مالا يجيء خادما للنص ، وكل ما ليس عنصرا داخلا في صميم « العرض » ولا أقول « الحدث » الدرامي . فالشجرة الجرداء في عرض الطريق المقفر ، توحي لنا في مسرحية «جودو» بفكرة الاجداب التي ترادف عقم الحياة وعذاب الانسان ، وظل الصـليب الملقى على الأرض في « لعبة النهاية » يواجهنا بفكرة الكفاءة وانتظار الخلاص .. وهو خلاص فيه الظل ولا شيء فيه من الحقيقة ، وربوة الرمل المغطاة بالعشب المنزوع ، والتي تدفن فيها «ويني»

فى « الأيام السعيدة » تذكرنا بفكرة الدفن ، والرجوع الى رحم الحياة أو الأرض الأم !

والأيام السعيدة . وهى أحدث مسرحيات بيكيت ، تقع فى فصلين . ويقوم بالتمثيل فيها شخصيتان ، أما الفصلان فالمنظر فيهما واحد لا يتغير ، وليس هناك فارق بين المنظرين ســـوى أن « وينى » ترى فى المنظـر الأول مدفونة الى ما يفوق خصرها فى وسط الربوة ، وترى فى المنظر الثانى مدفونة الى رقبتها . وينص بيكيت على ضرورة تجانس وهج الشمس مع الوهج الذى يظهر على النصــف الأعلى لوينى . حتى يبدو الوهجان وكأنهما وهج واحــد ، وحتى يتلاشى هذا الوهج الواحد فى الفصل الثانى وكلما تلاشى الوهج زحف الرمل ، فكل لحظة تمر تضيف حبة رمل جديدة الى الربوة التى دفنت فيها وينى .. ان الحياة تخبو والموت يزحف !

اما الشخصيتان الوحيـدتان فى المسرحيــة فهما « وينى » امرأة فى حوالى الخمسين ، و « ويللى » رجــل فى حوالى الستين !

ويلاحظ أن كلمة « وينى » بالانجليزية تفيد معنى الفوز أو الحصول على شىء ، كما أن كلمة «ويللى» تعنى العزيمة أو الارادة !

عجوزان قعيدان كل بطريقته الخاصــة .. المرأة دفينة ربوة من الرمل ، والرجل حبيس جحر من القش ،

والمـــرأة لا تتحرك أبدا وانما تتكلم أى كـلام ، والرجل قليلا ما يتكلم وكثيرا ما يتحرك ، وتحركه من الحجر الى سفح الربوة وعلى أطرافه الأربعـة ، انهما معا ينتظران شـيئا .. ينتظران الخـلاص ، ولكنـه الانتظار الذى لا ينتهى ، والخلاص الذى لا يجىء ابدا !

هاتان الشخصيتان ليستا غريبتين علينا ، فقـد رأيناهما من قبل ٠٠ انهما « بوزو » وعبده « لكى » فى مسرحية « فى انتظـار جودو » وهمـا « هام » وخادمه « كلوف » فى مسرحية « لعبة النهاية » ٠٠ وهما رمزان لشيئين .. هما بالاصطلاح الطبقى السـيد والعبـد ، وبالاصطلاح السيكولوجى الأنا والهو ، وبالاصطلاح الفلسفى العقل والمادة ، وبالمعنى الدينى أو الصوفى الجسد والروح فهما لا ينفصلان عن بعضهما رغم المحاولات المريرة التى يبذلها احدهما لينفصل عن الآخر ، وهما باختلافهمـا وتباينهما وجهان لحقيقة واحدة ٠٠ قد تكون المجتمع ، وقد تكون الحياة ، وقد تكون الانسان !

وتبـدأ المسرحيـة بسماع صلصلة جرس حاد ؛ بعدها تستيقظ «وينى» لتبدأ يوما جديدا، « يوم الهى آخر » وهى تستيقظ على صلصلة الجرس لا على دقات السـاعة ، لأنه ليس فى حياتهـا زمن ، أو لأن الجرس يحصى الزمن دون أن يشير اليه !

وبعدما تستيقظ « وينى » تأخذ فى الحديث مدفونة هكذا وسط الربوة ، وخلف الربوة نلمح زوجها « ويلى »

ولكننا لا نرى سوى ذراعيه تتصفحان الجريدة ، ولا نسمعه الا كل حين وآخر يقول كلمة أو على الأكثر كلمتين، ومن حديث « ويني » نعلم أن هذا اليوم ما هو الا يوم آخر من أيام حياتها ، يوم ليس أسوأ ولا أفضل ، لأنه ليس فى حياتها أى تغيير . فهى تقول : « ليس هناك طعم .. لأى شىء ، ولا جدوى .. فى الحياة !! . ولأنه كتب عليها أن تحيا هذه الحياة نراها تستعين عليها بالثرثرة ، والكلام المليء احيانا والفارغ فى أغلب الأحيان، فهى تقول : « انه ليوم شاق .. لا يضيف شيئا أو بعض الشيء الى معلومات الانسان مهما كانت تافهة ، أقصد الاضافة فانها تهيىء الانسان لتلقى الآلام ..

وفيم تحدثنا ويني ؟

تحدثنا عن أشياء كثيرة ، أغلبها تافه وبعضها جاد .. فهى تحدثنا عن حقيبتها وقبعتها ، وعن الأدوية والطعام، عن الشمسية ومعجون الأسنان ، ولكنها من خلال هذا كله تحدثنا عن الحب والحياة ، عن الذكرى والسعادة ، عن الأيام التي ذهبت والأيام التى تجيء . ونحن نعلم من حديثها أنها تنتظر شيئا سوف يتم أو لابد أن يتم ، لأن الكثير من سعادتها يتوقف على هذا الشيء : « لا ، أن شيئا ما لابد أن يتم فى العالم ، يشغل حيزا من الفراغ . ويحدث نوعا من التغيير » .

ونعلم من حديثها أيضا انها فى بحث دائم عن الزمن الضائع ، لأن أيامها تمر سريعا مر الكرام ، وهى تريد أن

تعمل شيئا يبقى وسط هذا السيلان الدافق من الساعات والأيام : « آه ، طيب ، ما قلناه أقل من أن يقال ، وما عملناه أقل من أن يعمل ، ومع هذا فالخوف عظيم ، عظيم الى أقصى حد ، فهناك أيام بعينها يجد الانسان نفسه فيها مهجورا مهملا ، ولا تزال الساعات تجرى قبل أن يدق جرس النوم ، ولا شيء يقال أكثر مما قلناه ، ولاشيء يعمل أكثر مما عملناه ، ذلك لأن الأيام تمر مر الكرام ، أيام بعينها تمر مر الكرام ، تمر تماما مر الكرام ، ويدق الجرس ، ولما نقل شيئا أو قليل هو ما قلناه ، ولما نعمل شيئا أو قليل هو ما عملناه » .

وعند « وينى » أن هذا هو مصدر الخطر ، ومايجعلها تحتاط لهذا الخطر ، لذلك نراها تتعلق بحقيبتها التى تحتوى على بعض الاشياء التافهة ، فهذه الحقيبة هى ضريح الآمال والذكريات كلها ، والثبات الظاهرى لما فيها من اشياء هو الذى يدخل الطمأنينة الى نفس وينى» ، صحيح انها طمأنينة زائفة ، ولكنها طمأنينة على كل حال ، طالما أنها تنتظر اللحظة المحتومة ، اللحظة التى ينتظرها كل انسان عندما يغطيه الرمل ويواريه التراب : « آه أيها التراب .. يا آلة الاطفاء العتيقة » . أن «وينى» تعرف مصيرها المحتوم ، ولكنها لا تقوى على شيء ازاء هذا المصير ، أو هذا الموت الذى يزحف نحوها ببطء ولكن بثبات ، لهذا نراها تنغمس فى أشياء الحياة العادية تلهو بها وتعبث، ونسمعها تقول أى كلام تطمئن به نفسها أو تخدع به

نفسها ، وكأنها لا تعى مايحدث أو أن مايحدث لا يعنيها .. الزمن يترك بصمات أصابعه على نظرها وأسنانها وذاكرتها . وهج النور يخبو وتراب الأرض يزحف .. لا شىء دائم ، لا شىء ثابت ، كل شىء يتغير ، وكل شىء الى زوال .

وبهذا الايقاع السيمفونى الحزين ينتهى الفصل الأول وهو أطول الفصلين ،انه عبارة عن مونولوج طويل مروع ، بجماله ومأساته معا ، يبدأ لينتهى متقطعا ،قصير العبارات ، فجائى الانتقال من موضوع الى موضوع آخر ، لأن الكاتب يعمل الى استثارة الذكرى واستنزاف ما فى طبقات الوعى السفلى . والقصة فيه لا تنمو بمقدار ما تدور على نفسها أو تتحرك فى خطوط متوازية ، ومن بدئه حتى الختام نسمع بين كل حين وآخر ، صوت « ويللى » المسكين كأنه نواح على الحياة وهى تذوى . وكأنه الصوت الذى يتناهى الى الأسماع من وراء القبر !

ويرفع ستار الفصل الثانى عن «وينى» مدفونة الى رقبتها ، قبعتها فوق رأسها ، وعيناها مغمضتان ، أما رأسها الذى لم يعد فى امكانها أن تديره ، والذى لا هو بالمحنى ولا هو بالمرفوع ، فيرى شاخصا الى الأمام دون أن يبدى حراكا، وأما حركات عينيها فهى وحدها التى تنقل التعبير . ورغم هذا كله ، نسمعها تبدأ كلامها عندما يدق الجرس بقولها : « سلاما أيها النور المقدس » . وكأنما تريد أن تقول ان الحياة تستحق أن تعاش حتى ولو كان

الانسان مدفونا الى رقبته ، لأنه ان فقد القدرة على التعبير بالحركة فهو قادر على التعبير بالنظرة ، وحتى ان فقد هذه الأخيرة ، فهو قادر على التعبير بالكلمة .. الكلمة التى كانت فى البدء ، والتى ينبغى أن تكون فى الختام !

وهكذا نسمع « وينى » تتحدث وتثرثر وتقول أى كلام ، تلوك فيه الذكريات ، وتجتر فيه أيامها السعيدة ، ولكننا نستطيع أن نستمع خلف ثرثرتها الى كلام له معنى وفيه دلالة ، كلام لا تقوله « وينى » ولا نسمعه على لسانها ولا نراه فى حركات عينيها ، وانما يدركه الانســـان فى أعماق ذاته بطريقــة مباشرة ، وكأنه ينبع من داخله بــدلا من أن يتلقاه من الخارج .. وكأنه قد أصــبح فى مكان « وينى » .. ينتظر الموت !

وقرب نهاية هذا الفصل الأخير يظهر «ويللى» مرتديا كامل ملابســه ، زاحفا على أطرافه الأربعة ، محاولا أن يتســلق الربوة ليلمس وجه « وينى » فتقــول له وفى صوتها تهدج : « كان ذلك منذ وقت مضى ، عندما كنت قادرة على أن أعطيك يدى » . وهنا يسقط « ويللى » بقوة ويرتمى على الأرض ، ويقول « وين » .. قالهــا بصوت متحشرج وبعدها سكت عن الكلام . وترد عليــه « وينى » وفى صوتها فرحة : « وين ! ان هذا اليــوم يوم سعيد ، سيكون هذا اليوم يوما سعيد هو الآخر» .

ثم تبـدأ وينى فى ترديد اغنيتها التى كانت تتهيأ لها من أول المسرحية ، وكأنما تغلبت قوة العاطفـة على الموت ذاته . فجاءت أغنية « وينى » رمزا حيا لانتصـار الانسـان ! نعم ٠٠ فالكائن البشرى يختلف عن الكائن الحشرى اختلافا جوهريا ، « وينى » تختلف عن النملة التى شاهدتها تجرى أمامها على خشـبة المسرح ٠٠ لأن النملة تموت دون أن تدرى من امرها شيئا، اما الانسان ٠٠ فانه يموت ويعلم أنه يموت ، بل يموت ويقدر على أن يتصور الموت ، بل يقدر حتى على أن يحياه !

فالانسان هو أشرف ما فى الكون ، ولكن الذى ينير حقيقته ليس هو الكون ، لأن الكون أبكم أعمى لا ينطق ولا يبين ولا يدرى من أمره شيئا ، وانما يجد الانسـان فى داخل نفسه ما يضىء له حقيقة نفسه ، وتلك هى خلاصة فلسفة بيكيت التى يدين بها لامام الوجودية المسيحية « بسكال » فعند الأخير أن الانسان وان يكن نبتا ضعيفا الا أنه نبت مفكر ، وأن الكون ان أهلك الانسـان ، فان الانسان يكون أشرف ممن يهلكه ، لأن الانسـان يعلم أنه يموت ، أما الكون فانه لا يدرى ماذا يفعل !

وهكذا يبرز وراء مسرحية « الأيام السعيدة » سؤال كبير يتعلق بأصل الانسان ومصيره ، وهو السؤال الذى تحاول « وينى » الاجابة عليه لا بطريقـة عقليـة ، بل بطريقـة لا عقليـة ، بالرجوع رمزا الى رحم الأم ، لأن دفنها بأعمق معانيه يمثل رجوعا حقيقيا الى ظلمة الرحم

.. تماما كما كان اختفاء «أوديب» النهائى فى قاع صخرة فى العالم السفلى، يمثل تعبيرا عن نفس الرغبة المتجهة الى داخل الرحم .. الى الأرض الأم !

ولا تنتهى المسرحية باسدال الستار ، ذلك لأن « وينى » عندما تنهض من تحت الربوة لترد على تحية الجمهور ، انما تؤكد فكرة العود الأبدى التى قال بها الفيلسوف الألمانى نيتشه ، أو فكرة البعث الذى تنتصر به على الموت ، وتعود به الى الحياة .. فالحب أقوى من الموت. وأقوى من الاثنين .. الانسان !

الأيام السعيدة

هذه هى الترجمة الكاملة لمسرحية

HAPPY DAYS

للكاتب الايرلندى المعاصر :

Samuel Beckett

شخصيات المسرحية

- وينى : امرأة فى حوالى الخمسين من عمرها .
- ويللى : رجل فى حوالى الستين من عمره .

● الفصل الأول

بساط من العشب المبتور ينمو فى وســـط ربوة قليلة الارتفاع ، ومنــحدرات دقيقة تتهــادى الى الأمام ، وعلى كلا جانبى المسرح ، وفى الخلف مسقط وعر ينحدر حتى مستوى خشبة المسرح ، المنظر يجمع بين منتهى البساطة ومنتهى التناسق ٠

ضوء متوهج ٠

وعلى الســـتار الخلفى للمسرح ، يمتد ضوء على مدى البصر ، يمثل سهلا منبسطا ، وسماء تترامى لتلتقى به على امتداد المسافة ٠

ترى « وينى » مدفونة الى ما فوق خصرها فى وسط الربوة تماما ، وهى فى حوالى الخمسين من عمرها ، محافظة على نفسها خير محافظة ، واميل الى ان تكون شقراء ، وهى بدينة ، عارية الذراعين والكتفين ، ترتدى صدرة قصيرة فوق صــدر ضــخم كبير ، وتضع حول عنقها عقدا من اللؤلؤ ٠ ترى وهى نائمة ، وذراعاها ممددتان امامها على الأرض ، وراسها مدلى فوق ذراعيها ، والى جوارها على

الأرض من ناحية اليسار حقيبة سوداء واسعة من النوع الذى يستخدم فى شراء مختلف الحاجيات ، وعلى يمينها شمسية مطوية ملقاه ، يبزغ من غمدها طرف المقبض ٠

ويلى يرقد نائما على الأرض الى يمينها ناحية الخلف ، وقد اخفته الربوة ٠

تسود فترة صمت طويلة ، يرن جرس بصوت نافذ حوالى عشر ثوان ثم يتوقف ٠ لا تتحرك ، تسود فترة صمت ، يرن الجرس بصـــوت اكثر نفاذا حوالى خمس ثوان ، تستيقظ ، يتوقف الجرس عن الرنين ، ترفع راسها ، وترنو ببصرها الى الأمام ، تسود فترة صمت طويلة ، تعتدل ، وتبسط ذراعيها على الأرض ، وتلقى براسها الى الخلف ، وتحدق فى السمت ٠ تســـود فترة صمت طويلة ٠

ويني : (وهى تحدق ببصرها فى الســـمت) يوم الهى آخر ٠ (صمت ٠ رأسها بمحاذاة الظهر ، عيناها الى الأمام ، صمت ٠ تضم يديهـــا أمام صدرها ، وتغمض عينيها ٠ تحرك شفتيها فى صلاة هامسة لا تكاد تسمع ، قل لمدة عشر ثوان ٠ تكف الشفاة . وتبقى اليدان مضمومتين ، وبصوت خفيض) من أجل يسوع المسيح ٠٠ آمين ٠ (تفتح عينيهـــا ، وتفرج يديها ، وتعود الى الربوة ، وتســـود فترة صمت ٠ مرة ثانية تضم يديها أمام صـــدرها ،

وتغمض عينيها ، وتحرك شـفتيها مرة أخرى فى صلاة اضافية لا تكاد تسمع · قل لمدة خمس ثوان ، وبصوت خفيض) عالم بلا نهاية ·· آمين · (تفتح عينيها ، وتفرج يديها ، وتعود الى الربوة ، وتسود فترة صمت) ابدئى يا وينى · (صمت) ابدئى يومك يا وينى · (لحظة صمت ، بعدها تتجه نحو الحقيبة ، تقلب فى داخلها دون أن تحركهـــا من مكانها ، وتخرج منها فرشاة الأسنان · تقلب ثانية، وتخرج أنبوبة مسطحة من معجون الأسنان ، تعـود فتتجه الى الأمام ، وتفتح غطاء الأنبوبة ، وتضــع الغطاء على الأرض ، وتبرز بصعوبة كمية صغيرة من المعجون على الفرشاة · تمسك الانبـــوبة باحدى يديها ، وتنظف أسنانها باليد الأخرى · تتلفت بحياء الى جانبها ، ثم على يمينها الى الوراء لتبصق خلف الربوة ، وبينما هى فى هذا الوضع ، تقع عيناها على « ويلى » ·· تبصق ، وتتمطى قليلا الى الخلف ، والى أسفل ، وبصوت عال) هـــ ··· ـوه ! أوه ! (لحظة صمت ، وبصوت أعلى) هـــ ···· ـوه ، أوه ! (لحظة صمت ، تبتسم ابتسامة رقيقة ، وهى تعود لتتجه الى الأمام ، ولتضع الفرشاة على الأرض) مسكين يا ويلى ·· (تتفحص الأنبوبة ، وتكف عن الابتسام) ــ انها تفرغ ــ (تبحث عن الغطاء) ــ آه ، لا بأس ــ (تجد الغطاء) ــ لا يمكن تجنب هذا ــ

(تقفل الغطاء) ـ مجرد واحدة من تلك الأشـــياء القديمة ـ (تضع الأنبوبة على الأرض) ـ شيء آخر من تلك الأشياء القديمة ـ (تتجه نحو الحقيبة) ـ حقا ، لا يمكن أن يشــــفى ـ (تقلب فى داخل الحقيبة) ـ لا يمكن أن يشــفى ـ (تخرج مرآة صـغيرة وتعــود فتتجه الى الأمام) آه ، طيب ـ (تعاين أسنانها فى المرآة) ـ مســكين يا عزيزى ويللى ـ (تفحص أسنانها الأمامية العليا بأصبع الابهام ، وبغير وضـوح) ـ يا مولاى الكريم ـ ؟ تســحب شـفتيها العليـا لتعـاين اللثـة ، وتسـتطرد فتقـول) ـ يا مولاى الـكريم ـ ! (تجذب جانب فمها ، وقد فتحته) ـ آه ، طيب ـ (تكرر نفس الشيء في الجانب الآخر) ـ ليس أسوأ ـ (تكف عن المعاينة ، وتتكلم بطريقة طبيعية) ـ ليس أفضل ، ولا أسوأ ـ (تضع المرآة على الأرض) ـ وليس هناك تغيير ـ (تمسح بأصابعهـــا على العشـــب) ـ ولا ألم ـ (تبحث عن فرشـــاة الأسنان) ـ لا يكاد يؤلمنى ـ (ترفع فرشاة الأسنان) ـ انه لشيء عظيم ـ (تتفحص مقبض الفرشاة) ـ ليس كمثله شيء ـ (تتفحص المقبض) ، وتقرأ) ـ نقى .. ماذا ؟ ـ (لحظة صمت) ـ ماذا ؟ ـ (تضع الفرشاة على الأرض) ـ آه ، طيب ـ (تتجه نحو الحقيبة) ـ مسكين يا ويللى ـ (تفتش فى الحقيبة)

ـ ليس هناك طعم ـ (تفتش) ـ لأى شىء ـ (تخرج النظارة وهى فى الكيس) ـ ولا جدوى ـ (تعود فتتجه الى الأمام) ـ فى الحياة ـ (تأخذ النظارة الكيس) ـ مسكين يا عزيزى ويللى ـ (تضع الـــكيس على الأرض) ـ نم الى الأبد ـ (تفتح النظارة) ـ انها نعمة مدهشة ـ (تلبس النظارة) ـ لا يمسها شىء بســـوء ـ (تبحث عن فرشاة الأسنان) ـ فى رأيى ـ (ترفع فرشاة الأسنان) وكثيرا ما قلت هذا ـ (تتفحص مقبض الفرشاة) ـ أتمنى لو كانت عندى ـ (تتفحص المقبض ، وتقرأ) ـ أصلى ·· نقى ·· ماذا ؟ ـ (تضع الفرشاة على الارض) ـ بعد ذلك يأتى العمى ـ (تخلع النظارة) ـ آه ، لا بأس ـ (تضع النظارة على الأرض) ـ رأيت بما فيه الكفاية ـ (تتحسس داخل الصورة باحثة عن المنديل) ـ أظن ـ (تخرج منـــديلا مطويا) ـ والآن ـ (تفض طيات المنديل) ـ ما هذه الأبيات العجيبة ـ (تمسح احدى عينيها) ـ الويل ، الويل لى ـ (تمسح الأخرى) ـ اذ أرى ما أرى ـ (تبحث عن النظـــارة) ـ آه ، طيب ـ (ترفع النظارة) ـ ما كنت لأفتقدها ـ (تبدأ فى تلميع النظارة ، فتتنفس على العدستين) ـ أو هل كنت أدعها تفوتنى ـ (تلمع عدسة) ـ أيها النـــور المقدس ـ (تلمع العدسة الأخرى) ـ الذى ينبلج

من الظلام ـ (تلمع) ـ يا وهج النور لجهنمى
ـ (تتوقف عن التلميع ، وترفع وجهها الى السماء ،
وتسود فترة صمت · تميل برأسها للخلف بحيث
تصبح أفقية ، وتواصـــل التلميع · تتوقف عن
التلميع ، وتتمطى خلفها الى اليمين ، والى أسفل)
ـ هـ ·٠٠٠ ـوه ، أوه ـ ! (تسود لحظة صمت ،
وتبتسم ابتسامة رقيقة ، وهى تعود فتتجه الى الأمام ،
وتواصل التلميع ، تكف عن الابتسام) ـ نعمة
مدهشة ـ (تتوقف عن التلميع ، وتضع النظارة على
الأرض) ـ أتمنى لو كانت عندى ـ (تطوى المنديل)
ـ آه ، لا بأس ـ (تعيد المنديل الى الصـــدرة) ـ
لا أستطيع أن أشكو ـ (تبحث عن النظـــارة) ـ
لا ، لا ـ (ترفع النظارة) ـ ولا يصح أن أشكو ـ
(تمسك النظارة الى أعلى ، وتنظر من خلال العدسة)
ـ يجب على أن أكون شاكرة على نعم كثيرة ـ (تنظر
من خلال العدســـة الأخرى) ـ لا ألم ـ (تلبس
النظارة) ـ لا يكاد يوجد ألم ـ (تبحث عن فرشاة
الأسنان) ـ وانه لشىء عجيب ـ (ترفع فرشـــاة
الأسنان) ـ ليس كمثله شىء ـ (تتفحص مقبض
الفرشاة) ـ صـــداع خفيف فى بعض الأحيـان ـ
(تتفحص المقبض ، وتقـــرأ) ـ مضـــمون ··
أصـــلى ·· نقى ·· ماذا ؟ ـ (تنظر بامعـان) ـ
أصـــلى نقى ـ (تأخـذ المنـديل من الصدرة) ـ

آه ، طيب ـ (تفض طيات المنديل) ـ صـــداع نصفي خفيف ، يحدث من حين لآخـر ـ (تبـــدأ فى مسح مقبض الفرشاة) ـ يجيء ـ (تمســح) ـ ويروح ـ (تمسح بطريقة آلية) ـ آه ، طيب ـ (تسمح) ـ رحمات كثيرة ـ رحمات واسعة ـ (تتـــوقف عن المســـح ، وبنظرة شـــاخصة شـــاردة ، وكلمـات متقطعـة) ـ ربما لم تكن الصـلوات ضـائعة ســدى ـ (تسـود فترة صمت ، ثم تستطرد فتقـــول) ـ الشيء الأول ـ (تسود فترة صمت ، ثم تستطرد فتقول) ـ الشيء الآخر ـ (تخفى رأسها ، وتواصل المسح • تتوقف عن المسح ، وترفع رأسها ، تركن الى الهدوء ، ثم تمسح عينيها • تطوى المنديل ثم تعيـــده الى الصدرة ، تتفحص مقبض الفرشاة ، ثم تقرأ) ـ مضمون كل الضمان •• أصلى نقى •• ـ (تنظر بامعان) ـ أصلى نقى ـ (تخلع النظارة ، وتضعها هى والفرشـــاة على الأرض ، وترنو ببصرها الى الأمام) ـ أشياء بالية ـ (فترة صمت) ـ وعيون بالية ـ (فترة صمت طويلة) ـ استمرى يا وينى ـ (تجيل النظر فيمـــا حولها ، يقـــع بصرها على الشمسية فتتأملها باسهاب ، ترفعها ، ويبرز من غمدها مقبض يبعث طوله على الدهشة ، وبينمـا تقبض على طرف الشمسية بيدها اليمنى ، تتمطى

خلفها والى أسفل ناحية اليمين ، لتطل على ويللى) ـ
هـــ ... ـــوه ، أوه ! ـ (صمت) ـ ويلى ! ـ
(صمت) ـ نعمة مدهشـــــة ـ (تخزه بطرف
الشمسية) ـ أتمنى لو كانت عندى ـ (تخزه ثانية ،
فتنزلق الشمسية من مقبضها وتسقط وراء الربوة ،
وسرعان ما تعيدها اليها يد ويللى التى لا ترى) ـ
أشكرك ، يا عزيزى ـ (تنقل الشمسية الى يدهـا
اليسرى ، ثم تعود فتتجه الى الأمام ، وتتفحص راحة
يدها اليمنى) ـ رطبة ـ (تعيـــــد الشمسية الى
يدها اليمنى ، وتتفحص راحة يدها اليسرى) ـ آه ،
لا بأس ، ليست أسوأ ـ (ترفع رأسها ، وبانشراح)
ـ ليست أفضل ، ولا أسوأ ، وليس هناك تغيير ـ
(تسود لحظة صمت ، ثم تستطرد فتقـــول) ـ
ولا ألم ـ (تتمطى خلفها لتطل على ويللى ، وهى
تمسك بالشمسية من طرفها كما كانت من قبل)
ـ أرجوك ياعزيزى ، لا تغب عنى الآن مرة ثانية ،
فربما احتجت اليك (صمت) لا تسرع ، لا تسرع ،
كل ما هناك ألا تزوغ منى مرة ثانية . (تعود فتتجه
الى الأمام ، تضع الشمسية على الأرض ، وتتفحص
كلتا راحتيها ، ثم تمسح بهما على العشب) ـ على
كل حال ، ربما كانتا متسختين ـ تتجه نحو الحقيبة ،
تفتش فيها ، وتخرج منها مسدسا ، ترفعه الى أعلى ،
وتقلبه بسرعة ، ثم تعيده . تفتش ، وتخرج زجاجة

من الدواء الأحمر ، تكاد أن تكون فارغة . ثم تعـود فتتجه الى الأمام ، تبحث عن النظارة ، تلبسها . وتقرأ العلامة المميزة) ــ ضياع المعنويات. . فقدان الحماسة ٠٠ نقصان الشهية ٠٠ الأطفال ٠٠ الأولاد البالغون. . المستوياتالستة .. ملعقة كبيرة يوميا

ــ (ترفع رأسها ، وتبتسم) ــ الأسلوب القديم !

ــ (تكف عن الابتسام ، وتخفض رأسها . وتقرأ)

ــ يوميا ٠٠ قبل الأكل وبعده ٠٠ فى لمح البصر ٠٠ (تنظر بامعان) ٠٠ تحسن ٠٠ (تخلع النظارة ، وتضعها على الأرض ، ترفع الزجاجة بطول ذراعها لترى منسوب الدواء ، تفتح الغطـــاء . وتجرع الزجاجة عن آخرها ، ورأسها ملقى الى الوراء ، تقذف بالغطاء والزجاجة فى اتجاه ويلى ، فيسمع صوت تكسير الزجاج) ــ آه ، هذا أفضل ! ــ (تتجه نحو الحقيبة ، تفتش فيها ، وتخرج منها اصبع الشفاه . تعود فتتجه نحو الأمام ، وتتفحص اصبع الشفاه) ــ انه يفرغ ــ (تبحث عن النظارة) ــ آه ، لا بأس ــ (تلبس النظارة ، وتبحث عن المرآة) ــ لا يصح أن أشكو ــ (ترفع المرآة ، وتبدأ فى طلاء الشفاه) ــ ما هذا البيت العجيب ؟ ــ (تطلى الشـــفاه) ــ أوه افـــراح زائلة ــ (تطلى الشـــفاه) ــ أوه ، شيء دائم الكرب ــ (تطلي شفتيها ، يقاطعها ما يصدر عن ويلى من تشويش ، يعتدل جالسا ،

أما هى فتخفض اصبع الشـــفاه والمرآة ، وتتمطى الى الخلف والى أسفل لتنظر اليه · تســـــود لحظة صمت · وتبدو من الخلف قمة رأس ويللى الصلعاء تنضح بالدم ، وهو يشب ليطل من فوق المنحدر ، ويستقر · تدفع وينى نظارتها ، وتسود لحظة صمت، تظهر يد ويللى وبها منديل ، ينشره فوق رأســه ، ثم يختفى ، وتسود لحظة صمت · تظهر اليد وبهـا قبعة على شكل قارب ، عليها شريط النادى ، يضعها فوق رأسه ، بزاوية مائلة ، ثم يختفى ، وتسود لحظة صمت · تتمطى وينى قليلا الى الخلف ، والى أسفل) ـ ارتد سراويلك يا عزيزتى قبل أن تشيط ! (صمت) ـ لا ـ ؟ (صمت) ـ أوه ، فهمت ، لا يزال عندك شىء باق من ذلك الدهان ـ (صمت) دلكله جيدا فى بشرتك يا عزيزى (صمت) والآن الذراع الأخرى ـ لحظة صمت ، تعود فتتجه الى الأمام ، وتحدق فيما أمامهـــا ، ويغمرها تعبير من السعادة) ـ أوه ، سيكون هذا اليوم يوما سـعيدا هو الآخر ـ (تسود لحظة صمت ، ويختفى تعبير السعادة ، تشد النظارة الى أسفل ، وتواصل طـلاء الشفاه · يفتح ويللى الجريدة بحيث لا ترى يداه ، وتظهر سطوح صفحاتها على كلا جانبى رأسه ، تفرغ وينى من طلاء الشفاه وتعاينها فى المرآة التى تبعدها عنها قليلا) ـ الشارة القرمزية ـ (يقلب ويللى

الصحيفة وتضع وينى اصبع الشفاه والمرآة على الأرض وتتجه نحو الحقيبة) · علم شاحب اللون ــ (تقلب ويللى الصحيفة ــ وتفتش وينى فى الحقيبة ، ثم تخرج منها قبعة صغيرة مزينة ، ليست لها حافة ، وبها ريش مكسر ، تعود فتتجه الى الأمام ، وتصلح به شأن القبعة . تملس على الريش ، وترفع القبعة تجاه رأسها ، تمسك عن الحركة فى الوقت الذى يقرأ فيه ويللى) ·

ويللى : صاحب النيافة ، الأب الجليل الموقر ، الدكتور كارلوس هنتر ، مات فى احدى السفن ·

(تسود فترة صمت) ·

وينى : ترنو ببصرها الى الأمام · والقبعة فى يدها ، وفى لحظة تذكر حماسية) شارلى هنتر ! (تسود لحظة صمت) ــ اننى أغمض عينى ــ وتخلع النظارة ، وتفعل ذلك ، وبينما تمسك القبعة باحدى يديها والنظارة باليد الأخرى ، يقلب ويللى الصحيفة) ــ وأنا جالسة على ركبتيه للمرة الثانية ، فى الحديقة الخلفية فى « بوروجرين » تحت الحصان المصنوع من خشب الزان.. (صمت ، تفتح عينيها، وتلبس النظارة ، وتلعب بالقبعة) ــ أوه ، يالها من ذكريات سعيدة !

(صمت ، ترفع القبعة تجاه رأسها ، تمسك عن الحركة فى الوقت الذى يقرأ فيه ويللى)

ويللي : كان مقبلا على شباب وسيم .

(صمت ، ترفع القبعة تجاه رأسها ، وتمسك عن الحركة ، تخلع النظارة ، وترنو ببصرها الى الامام . والقبعة في احدى يديها ، والنظارة في اليد الأخرى) .

ويني : حفلتي الراقصة الأولى ! (فترة صمت طويلة) حفلتي الراقصة الثانية ! (فترة صمت طويلة ، ثم تغمض عينيها) قبلتي الأولى ! (لحظة صمت ، يقلب ويللي الصحيفة ، وتفتح ويني عينيها) ان مستر جونسون ، أو جونستون ، أو ربما كان من الواجب على أن أقول جون ستون ، له شارب كثيف جدا ، ضحم جدا (باحترام وتوقير) يكاد يكون في لون الزنجبيل ! (لحظة صمت) في داخل كشك أدوات البساتين ، ولو أنى لا أستطيع أن أتصوره ، فنحن لم يكن لنا كشك لأدوات الحدائق ، وهو بكل تأكيد لم يكن عنده مثل هذا الكشك . (تغمض عينيها) اننى أرى أكوام الأوعية ـ (صمت) وعقد الألياف (صمت) ـ والظلال الغائرة بين ألواح العوارض . (تسود لحظة صمت ، تفتح عينيها ، وتلبس النظارة ، وترفع القبعة تجاه رأسها ، تمسك عن الحركة في الوقت الذى يقرأ فيه ويللي) .

ويللي : مطلوب غلام ذكي

(فترة صمت ، تلبس ويني القبعة بسرعة ، وتبحث

عن المرآة · يقلب ويللى الصـــحيفة ، ترفع وينى المرآة ، وتعاين القبعة ، تضع المرآة على الأرض ، وتتجه نحو الحقيبة ، تختفى الصحيفة . تفتش وينى فى الحقيبة ، وتخرج منها منظارا مكبرا ، تعود فتتجه الى الامام ، وتبحث عن فرشاة الأسنان . تعود الصحيفة الى الظهور ، مطوية ، ثم تبدأ فى التهوية على وجه ويللى بحيث لا يمكن رؤية يده . ترفع وينى فرشاة الأسنان ، وتتفحص المقبض من خـــلال المنظار) ·

وينى : مضمون كل الضمـــان ·· (يتوقف ويللى عن التهوية) ·· أصلى نقى ·· (صمت ، يواصـــل ويللى التهوية ، وتضع وينى المنظار والفرشاة على الأرض . تأخذ المنديل من الصدرة ، وتخلع النظارة وتلمعها ، تلبس النظارة ، وتبحث عن المنظار ، ترفع المنظار وتلمعه ، تضع المنظار على الأرض ، وتبحث عن الفرشاة ، ترفع الفرشاة ، وتمسح المقبض ، تضع الفرشاة على الأرض ، وتعيد المنديل الى الصدرة ، تبحث عن المنظـــار ، ثم ترفع المنظار . تبحث عن الفرشاة ، ثم تلتقط الفرشاة ، وتتفحص المقبض من خلال المنظار) مضمون كل الضمان ·· (يتوقف ويللى عن التهوية) ·· أصلى نقى ·· (لحظة صمت ، ثم يواصل ويللى التهوية) ·· وبر ·· (يتوقف ويللى عن التهوية ، وتســود لحظة صمت) ·· الحلوف ··

(صمت ، تضع ويني المنظار والفرشاة على الأرض ، تختفى الصحفية ، تخلع ويني النظارة ، وتضعها على الأرض ، وترنو ببصرها الى الأمام) ــ وبر الحلوف ــ (لحظة صمت) ــ هذا ما أراه غاية فى الروعة ، أن لا يمر يوم ــ (تبتسم) ــ حتى نتكلم بالأسلوب القديم ــ (تكف عن الابتسام) ــ ولا يوم ، لا يضيف شيئا أو بعض الشيء الى معلومات الانسان مهما كانت تافهة ، أقصد المعلومات ، فانها تهييء الانسان لتلقى الآلام ٠ (تعود يد ويللى الى الظهور ، وبها تذكرة بريد ، يفحصها وهو ينظر فيها بامعان) ــ واذا لم يكن فى الامكان احتمال المزيد من الآلام،لسبب من الأسباب الغريبة ، اذن فلأغمض عيني ــ (تغمض عينيها) ــ وأنتظر حتى يجيء اليوم ــ (تفتح عينيها) ــ حتى يجيء اليوم السعيد ، اليوم الذى ينصهر فيه الجسد ، تحت درجات كبيرة من الحرارة ، ويمضى فيه على أفول القمر مئات عديدة من الساعات (فترة صمت) هذا ما أراه غاية فى الراحة ، عندما أفقد قلبى ، وأغار من الوحش الكاسر ٠ (تتجه نحو ويللى) ــ أتمنى أن تفهم ــ (ترمى تذكرة البريد ، فتنحنى الى أسفل) ما هذا الذى معك ٠٠ يا ويللى،هل يمكننى أن أراه؟ (تمد يدها الى ويللى ، فيسلمها التذكرة ، يظهر ساعده الكثيف الشعر فوق المنحدر ، ويرتفع فى حركة تنم عن الاعطاء ، تفتح اليد لتسترد ما أعطت ، وتظل

على هذا الوضع حتى تعود التذكرة · تعـــود وينى فتتجه الى الأمام وتفحص التذكرة) يا للسموات ، ما الذى ينوون عمله ؟ (تبحث عن النظارة ، تلبس وتفحص التذكرة) لاشيء أكثر من أنها قذارة أصلية خالصة ! (تتفحص التذكرة) تجعل أى انسان نظيف يشعر بالغثيان ! (يضيق صبر أصابع ويللى ، تبحث عن المنظار ، ترفعه وتتفحص التذكرة من خـــلاله . تسود فترة طويلة من الصمت) هذا المخلوق القابع ورائى ، ما الذى يظن أنه يفعله ؟ (تنظر بامعان) أوه ، هذا كثير ! (يضيق صبر أصابع ويللى . فتلقى بآخر نظرة طويلة ، تضع المنظار على الأرض ، وتأخذ حافة التذكرة بين سبابتها اليمنى واصبع الابهام ، تعرض برأسها ، وتضع أنفها بين سبابتها اليسرى واصبع الابهام) ياه ! ــ (تسقط التذكرة) ــ خذها بعيدا عنى ــ (تختفى ذراع ويللى ، وسرعان ما تعود يده فتظهر حاملة التذكرة ــ تخلع وينى النظارة ، وتضعها على الأرض ، وتحدق ببصرها فيما أمامها · وفى أثناء ما يلى ذلك ، يستمر ويللى فى تمعن التذكرة ، وهو يغير من وضـــع الزوايا والمسافة بالنسبة الى عينيه) ــ وبر الحلوف ــ (وبتعبير ينم عن الحيرة) ما هو الحلوف بالضبط ؟ ــ (تسود لحظة صمت ، ثم تستطرد فتقول) أنا أعرف أنثى الخنزير بالطبع ، ولكن الحلوف ·· (يختفى تعبير الحيرة) أوه ، لا بأس

مهما كان الأمر ، فهذا ما أقوله دائما ، انه سيعود .
وهذا ما أراه غاية في الروعة ، كل شيء يعـــود ·
(صمت) كل شيء ؟ (صمت) لا ، ليس كل شيء ·
(تبتسم) ـ لا ، لا ـ (تكف عن الابتسام) ـ ليس
الكل ـ (صمت) ـ وانما البعض ـ (صمت) ـ يطفو
ذات يوم جميل ، من حيث لا ندرى ـ (صمت) وهذا
ما أراه غاية في الروعة · (تسود لحظة صمت ، تتجه
نحو الحقيبة ، تختفى اليـد والتذكرة ، تحاول أن
تفتش في الحقيبة ، ثم تمسك عن الحركة) ـ لا ـ
(تعود فتتجه الى الأمام ، وتبتسم) ـ لا ، لا ـ
(تكف عن الابتسام) ـ برفق يا ويني ـ (ترنو
ببصرها الى الأمام ، تعود يد ويلى الى الظهور . تخلع
القبعة ، ثم تختفى هى والقبعة) ـ وماذا بعد ؟ ـ
(تعود اليد الى الظهور ، تأخذ المنـــديل من فوق
رأسه ، ثم تختفي هي والمنديل ، وتقول ويني بحدة ،
وكأنها تخاطب شخصا لا يعيرها انتباها) ويني !
(يحنى ويلى رأسه حتى يختفى عن الأنظار) ـ
وما هو البديل ؟ ـ (صمت) ـ ما هو البد ··
(يتمخط ويلى بصوت عال ولمـدة طويلة ، بحيث
لا يرى رأسه ، ولا ترى يداه ، تلتفت لتنظر اليه ،
ثم تسود فترة صمت ، يعود رأسه الى الظهور ، ثم
تسود فترة صمت ، يعود رأسه ، ولا ترى يداه ،
تلتفت لتنظر اليه ، ثم تسود فترة صمت ، يعود

رأسه الى الظهور ، ثم تسود فترة صمت ، تعود يده الى الظهور وبها المنديل ، تنشر المنديل على رأسه وتختفى ثم تسود فترة صمت ، تعود اليد الى الظهور وبها القبعة ، تثبت القبعة على رأسه بزاوية مائلة وتختفى ، ثم تسود فترة صمت) كم أود لو أتركك تغط فى النوم · (تعود فتتجه الى الأمام ، وتأخذ فى اقتلاع العشب بصورة متقطعة ، تحرك رأسها الى أعلى والى أسفل ، لتقول) ـ آه ، أجل ، لو أننى فقط كنت قادرة على تحمل الوحدة ، أعنى أن أثرثر بعيدا دون أن يسمعنى أحد ·· (صمت) وليس معنى هـــذا أننى أهنىء نفسى عــلى أنك تسمع كثيرا ، لا يا ويللى ، معاذ الله · (صمت) فربما تمر أيام وأنت لا تسمع شيئا · (صمت) ولكن هناك أيضا أياما كنت ترد فيها على · (صمت) وعلى ذلك ، ربما استطعت أن أقول فى كل الأوقات ، حتى عندما لا ترد على ، وربما لا تكون قد سمعت شيئا ، ان شيئا من هذا قد يسمع ، فأنا لا أتكلم الى نفسى فقط فى عالم القفر ، شىء لا أقوى على عمله أبدا ، ولا لأى فترة من الوقت · (صمت) وهذا ما يساعد على الاستمرار ، أقصد الاستمرار فى هذا الكلام (صمت) على أنك لو كنت تموت (تبتسم) أو تتكلم بالأسلوب القديم (تكف عن الابتسام) أو ترحل بعيدا عنى وتتركنى ، وحينئذ ، ماذا كنت أفعل ، أو ماذا كنت « أستطيع »

أن أفعل ، طوال اليوم ، أقصد بين الجرس الذى يدق ايذانا بالاستيقاظ ، والجرس الذى يدق ايذانا بالنوم؟ (تسود لحظة صمت) لاشيء أكثر من أن أحدق فيما أمامي ، وشفتاى مزمومتان • (تسود فترة صمت طويلة ، بينما تزم شفتيها ، ولا تعود الى افتـــلاع العشب) ولا كلمة أخرى طوال الوقت الذى أتنفس فيه ، ولا شيء يقطع صمت هذا المكان (صمت) اللهم الا تنهيدة من حين لآخر ، من كل حين وآخر . آخذها بقدر الامكان ، وأنا أنظر فى المرآة (صمت) أو نوبة قصيرة من الضحك ، اذا استطعت أن أروى النكتة القديمة مرة أخرى • (تسود فترة صمت ، وتظهر على وجهها الابتسامة التى تتسع حتى تبدو وكأنها بلغت الذروة فى نوع من الضحك ، عندما يحل محلها فجأة تعبير من الضيق) ــ شعرى ! ــ (لحظة صمت) ــ هل ترانى نظفت شـــعرى ومشطته ؟ ــ (لحظة صمت) ربما أكون قد فعلت ذلك • (لحظة صمت) اننى أعمل هذا فى العادة • (لحظة صمت) لا يستطيع الانسان أن يفعل الا أقل القليل • (لحظة صمت) الانسان يعمل هذا كله (لحظة صمت) كل ما يستطيعه (لحظة صمت) هذه طبيعة البشر • (لحظة صمت) طبيعة انسانية (تبدأ فى تفحص الربوة ، فتنظر الى أعلى) ضعف بشرى (تواصل تفحص الربوة ، فتنظر الى أعلى) ــ ضعف طبيعى ــ (تواصـــــل تفحص

الربوة) لا أرى أى مشط (تتفحص) ولا أية فرشاة شعر · (تنظر الى أعلى ، يعلوها تعبير الحيرة ، تتجه نحو الحقيبة ، وتفتش فيها) _ المشط هنا _ (تعود فتتجه الى الأمام ، ويعلوها تعبير الحيرة ، وتعود الى الحقيقة وتفتش فيها) _ الفرشاة هنا _ (تعود فتتجه الى الأمام ، ويعلوها تعبير الحيرة) _ ربما أعدتها مرة ثانية ، بعد الاستعمال _ (تســـود لحظة صمت ، وتستطرد قائلة) _ ولكننى فى العادة لا أعيد الأشياء بعد استعمالها ، وانما أتركها حولى ، وأعيدها كلها فى آخر النهار (تبتسم) _ عدنا الى الكلام بالأسلوب القديم _ (لحظة صمت) _ الأسلوب القديم الحلو _ (تكف عن الابتسام) _ والآن ·· يبدو لى ·· أننى أتذكر ·· (وفجأة تتكلم بقلة اكتراث) _ أوه ، لا بأس ، فماذا يهم ، هذا ما أقوله دائما . مجرد أننى سوف أعيد المشط والفرشاة فيما بعد ، سأعيدها كلها _ (تسود لحظة صمت ، وتبدو فى حيرة) _ كلهم ؟ _ (صمت) أم كلها ؟ _ (صمت) _ هل أنظفه بالفرشاة وأمشطه ؟ _ (صمت) _ هذا يبدو غير لائق بشكل ما ؟ _ (تسود لحظة صمت ، ثم تتجه قليلا نحو ويلى) _ ماذا تراك أن تقول يا ويلى ؟ _ (تسود لحظة صمت ، ثم تتجه اليه أزيد قليلا) ماذا تراك أن تقول يا ويلى ، عندما تتكلم عن شعرات رأسك ، تقول كلها أم كلهم ؟ (تسود لحظة صمت) _

أقصد الشعرات التى على رأسك ـ (تســـود لحظة صمت ، ثم تتجه اليه أزيد قليلا) ـ الشعرات التى على رأسك يا ويللى ، ماذا تراك تقول ، عندما تتكلم على الشعرات التى على رأسك ، كلها أم كلهم ؟

(تسود فترة طويلة من الصمت)

ويللى : كلها .

وينى : (تعود فتتجه الى الامام ، وبابتهاج) ـ أوه ، أنت تنوى الكلام معى اليوم ، سيكون هذا اليوم ـ يوما سعيدا ! (لحظة صمت ، ثم يزول الابتهاج) ـ يوم سعيد آخر ـ (لحظة صمت) ـ آه ، لا بأس ، فيم كنت تفكر ؟ ـ فى شعرى . أجل ، فيما بعــــد ، سأكون شاكرة له فيما بعد ـ (تسود لحظة صمت) ـ أنا عندى ـ (ترفع يديها الى القبعة) ـ نعم ، فوق ، قبعتى فوق ـ (تخفض يديها) ـ لا أستطيع أن أخلعها الآن ـ (تسود لحظة صمت) ـ هنـاك أوقات لا يستطيع الانسان فيها أن يخلع قبعته ، الا اذا كانت حيـــــاة الانسان فى خطر ، أوقات لا يستطيع الانســــان فيها أن يلبسها ، وأوقات لا يستطيع الانسان فيها أن يخلعها ـ (تسود لحظة صمت) ـ ما أكثر ما قلت ، البسى قبعتك الآن يا وينى ، فليس هناك شىء مثلها ، اخلعى قبعتك الآن يا وينى ، كما لو كنت فتاة طيبة ، لأنهـــا

ستفيدك ، ولكنى لم أكد أفعل شيئا ــ (تسود لحظة صمت) أو لعلى لم أكن أستطيع أن أفعل شيئا ــ (تسود لحظة صمت ، ترفع يدها ، وتخرج من تحت القبعة خصلة من الشعر ، تسحبها تجاه عينيها ، وتنظر اليها بحول ، ثم تتركها تعـــود الى ما تحت القبعة ، وتنزل يدها) ــ قلت عنها انها ذهبية ، فى ذلك اليوم ، بعد أن رحل آخر ضيف ــ (ترفع يدها فى حركة تنم عن رفع كأس) ــ فى صحة خصلتك الذهبية .. أرجـــو ألا يحل بها أبدا ــ (يتهدج صوتها) ــ أرجـــو ألا يحل بها أبدا ــ (تخفض يدها ، وتخفض رأسها ، وتســـود لحظة صمت ، ثم تقول بصوت خفيض) ــ فى ذلك اليوم ــ (تسود لحظة صمت ، ثم تستطرد فتقول) ــ أى يوم ؟ ــ (تسود لحظة صمت ، ثم ترفع رأسها وتقول بصوت طبيعى) ــ ما المسألة الآن ؟ ــ (تسود لحظة صمت) ــ الكلمات تضيع منى ، هناك أوقات تضيع فيها الكلمات ــ (تتجه قليلا نحو ويلى) ــ أليس الأمر كذلك ، يا ويلى ؟ ــ (تســود لحظة صمت ، وتتجه اليه أزيد قليلا) ــ أليس الأمر كذلك ، يا ويلى ، انه حتى الكلمات تضيع فى بعض الأوقات ؟ (تسود لحظة صمت ، ثم تعود فتتجه الى الأمام) ــ ماذا يجب على الانسان أن يعمل حينئذ ، حتى تعود الكلمات ، أنظف الشعر وأمشطه ، اذا

لم يكن ذلك قد حدث . أو اذا كان فى الأمر شك ، أقلم الأظافر اذا كانت فى حاجة الى التقليم ، فهذه الأشياء تساعد الانسان فى التغلب على الصعاب — (صمت) — هذا ما أقصده — (صمت) — هذا كل ما أقصده — (صمت) — هـــذا ما أراه غاية فى الروعة . فلا يمر يوم — (تبتسم) — عدنا الى الكلام بالأسلوب القديم — (تكف عن الابتسام) — دون أن يكون هناك شيء من البركة — (يسقط ويللى فيما وراء الربوة . ويختفى رأسه ، فتتجه وينى صوب ما حدث) — فى شكل من الأشكال — (تتمطى خلفها والى أسفل) — اذهب الى جحـــرك الآن يا ويللى ، لقد عرضت نفســـك للشمس بما فيه الكفاية — (تسود لحظة صمت) — افعل كما أقول يا ويللى . لا ترقد مستلقيا هناك فى هذه الشمس المحرقة . عد الى جحرك — (تسود لحظة صمت) — هيا ‏·· اذهب الآن يا ويللى — (يشرع ويللى ، وهو لا يرى فى الزحف ناحية اليسار ، متجها الى الجحر) — يالك من رجل — (تتابع تحركه بعينيها) — لا تبدأ برأسك أيها الغبى ، والا كيف تستطيع أن تستدير ؟ (صمت) — هكذا يكون الحال ‏·· استدر جهة اليمين ‏·· والآن ‏·· عد الى الداخل ‏·· (صمت) — أوه ، أعرف أن الأمر ليس ســـهلا ، يا عزيزى ، الزحف الى الوراء ، ولكنه يعود بالفائدة فى آخـر

الأمر ـ (صمت) ـ لقد تركت وراءك ما يخصك من الفازلين ـ تراقبه وهو يزحف راجعا من أجل (الفازلين) ـ الغطاء ! ـ (تراقبه وهو يزحف راجعا الى الجحر ، وتقـــول وهى مستثارة) ـ قلت لك لا تبدأ برأسك ! ـ (صـــمت) ـ اتجه أكثر الى اليمين ـ (صمت) ـ قلت لك الى اليمين ـ (تسود لحظة صمت ، ثم تقول وهى مستثارة) ـ دع مؤخرتك الى أسفل ، ألا تستطيع ! ـ (صمت) ـ والآن ـ (صمت) ـ هكذا ـ (كل هذه التعليمات تصدرها بصوت عال ، أما الآن فتتكلم بصوت طبيعى ، وهى لا تزال متجهة اليه ؟ ـ هل تستطيع أن تسمعنى ؟ (صمت) ـ أتوسل اليك يا ويللى ، مجرد أن تقول نعم أو لا ، هل تستطيع أن تسمعنى ، مجرد أن تقول نعم أو لا تقول شيئا ·

(تسود فترة صمت)

ويللى : نعم

وينى : (تتجه الى الأمام ، وبنفس نبرة الصـــوت) ـ والآن ؟ ·

ويللى : (مستثارا) نعم

وينى : (بصوت أقل علوا) والآن ؟

ويللى : (أكثر استثارة) نعم ·

وينى : (لا تزال تحافظ على صوتها الأقل علوا) ـ والآن ؟

– (بصوت أعلى قليلا) – والآن ؟ ٠

ويللى : (محتدا) نعم !

وينى : (بنفس نبرة الصوت) لم يعد هنـــاك خوف من حرارة الشمس (تسود لحظة صمت) هل سمعت هذا ؟

ويللى : (مستثارا) نعم ٠

وينى : (بنفس نبرة الصوت) – ماذا ؟ – (تســـود لحظة صمت) – ماذا ؟ ٠

ويللى : (أكثر استثارة) لم يعد هناك خوف ٠
(تسود فترة صمت)

وينى : (بنفس نبرة الصوت) لم يعد هناك ماذا ؟ (تسود لحظة صمت) لم يعد هناك خوف من ماذا ؟

ويللى : (محتدا) لم يعد هناك خوف !

وينى : (نبرة صـــوت طبيعيـــة ، تثرثر) باركك الله يا ويللى ، اننى أقدر طيبتك ، وأعرف ماذا تكلفك من الجهد ، والآن يمكنك أن تسترخى ، فلن أعود الى ازعاجك ، اللهم الا اذا اضطررت الى ذلك ، أعنى اذا أشرفت مواردى على النفاد ، وهو أمر بعيد الاحتمال ، كل ما أحتاج اليه هو أن أعرف أنك نظريا تستطيع أن تســـــتمع الى ، رغم أنك فى الواقع لا تستمع ، كل ما أحتاج اليه هو أن أشعر بك هناك على مدى السمع ، وأنك تنبض بالحياة بدرجـــة

معقولة ، فلا أقول شيئا لا أكون راغبة فى أن تسمعه ، أو يكون مدعاة لأن يسبب لك الآلام ، ولا أكون مجرد ثرثارة أهذى بكلام فارغ معتمـــدة عليك ، كما لو كانت مسألة غير معروفة ، وشىء ما يثير فى نفسى بشأنها القلق والاضطراب (لحظة صـــمت تتنفس فيها) ـ الألم ـ (تضع اصبع السبابة ، والاصبع الأوسط فوق منطقة القلب ، نحركهما ، ثم تســتقر بهما على موضع) ـ هنا ـ (تحركهما قليـــلا) ـ تقريبا ـ (تبعد يدها) ـ أوه ، لا شك أنه سيأتى الوقت الذى ينبغى على فيه قبل أن أتفوه بكلمة ، أن أتأكد من أنك سمعت الكلمة التى ســـبقتها ، وحينئذ لا يكون هناك شك فى أن يأتى آخر ، يوم آخر ، ينبغى على فيه أن أتعلم كيف أتحـــدث الى نفسى ، وهذا أمر لا أقدر أبدا على احتماله فى مثل هذه القفار (تسود لحظة صمت) أو أن أحدق فيما أمامى وشفتاى مضمومتان (تضم شفتيها) ـ طوال اليوم كله ، (تحدق وتضم شفتيها مرة ثانية) ـ لا ـ (تبتسم) ـ لا ‥ لا ـ (تكف عن الابتسام) الحقيبة هناك بالطبع ، (تتجه نحوها) ســـتكون الحقيبة هناك دائما ـ (تعـود فتتجه الى الأمام) ـ نعم ، هذا فيما أظن ـ (تسود فترة صمت) حتى ولو رحلت يا ويلى (تتجه نحـــوه قليلا) ـ أنت راحل يا ويلى ، أليس كذلك ؟ ـ (لحظة صمت ، ثم

بصوت أعلى) ويللي ! (لحظة صمت ، تتمطى بعدها الى الخلف والى أسفل لتطل عليه) وعلى هذا نقلت قشك ، هذا شيء معقول · (تسود لحظة صمت) — ولابد لى أن أقول انك تبدو مستريحا وذقنك فوق يديك ، وعيناك الزرقاوان الباليتان كأنهما فنجانان في عتمة الظلام — (صمت) — انى أتساءل ان كنت تستطيع أن ترانى من هناك . انى مازلت أتساءل — (صمت) — لا ؟ — (تعود فتتجه الى الأمام) — أوه ، أعـــرف أنه اذا اجتمع اثنـــان معـا (فى لعثمة واضطراب) — بهذا الشكل — (بنبرة صـــوت طبيعية) — وأنه اذا كان الواحد يرى الآخر ، فان الآخر يرى الواحد بالضرورة ولقد علمتنى الحيـــاة هذا أيضا — (لحظة صمت) — نعم ، الحياة فيمـــا أظن ، فليست هناك كلمة أخرى — (تتجه نحوه قليلا) — هل تظن أنك تستطيع أن ترانى من حيث أنت ، اذا رفعت عينيك فى اتجاهي — (تتجه نحوه أزيد قليلا) — ارفع عينيك الى يا ويللي . وقـل لى ان كنت تستطيع أن ترانى ، افعل ذلك من أجلى ، وسأميل الى الوراء بقدر ما أستطيع — (تفعل هذا ، وتسود فترة صمت) — لا ؟ — (صمت) — لا يهمك أبدا — (تعود وهى متألمة ، فتتجه الى الأمام) — الأرض اليوم شديدة الصلابة ، هل يمكن أن يكون وزنى قد زاد ، لا أظن ! (لحظة صمت ، تغيب فيها

وعيناها مسدلتان) ـ ربما كانت الحرارة الشديدة
هى السبب ـ (تهم ، فتلمس الأرض ، وتربت عليها)
ـ الأشياء كلها تتمدد ، بعضـــها أكثر من البعض
الآخر ـ (لحظة صمت ، بعـــدها تلمس الأرض ،
وتربت عليها) ـ وبعضها أقل ـ (لحظة صمت ،
ثم تستطرد قائلة) أوه ، أستطيع أن أتخيل جيدا
ما الذى يدور بخاطرك ، فليس يكفى أن تظل منصتا
الى المرأة ، وعلى الآن أيضا أن أنظر اليها جيدا ٠
(لحظة صمت ، بعدها تستطرد قائلة) ـ حسن ، هذا
مفهوم جدا ـ (لحظة صمت ، بعدها تستطرد قائلة)
ـ مفهوم تماما ـ (لحظة صمت ، بعدها تســـتطرد
قائلة) ـ لا يبدو الانسان وكأنه يطلب الكثير ،
بل الواقع أنه يبدو أمرا عسيرا فى بعض الأوقات ـ
(يضعف صوتها ، ويهبط الى درجة التمتمة) ـ أن
تطلب القليل من مخلوق ، وأنا أطرح القضية برفق
ولين ، فى حين أنك فى الواقع ، حين تفكر فيهـا ،
وتنظر فى داخل قلبك ، لترى الشخص الآخر ،
وما يحتاج اليه ، السلام ، أن يترك فى سلام ، لعل
القمر حينئذ ، طوال هذا الوقت وأنا أناجى القمر ٠
(تسود فترة صمت ، وفجأة تتوقف اليد التى تربت
على الأرض ، وبحيوية ونشاط) ـ أوه ، أقـــول
ما هذا ؟ ـ (تميل برأســـها على الأرض ، وكمن
لا يصدق) تشبه نوعا من أنواع الحياة ! (تبحث عن

النظارة ، تلبسها . تميل أكثر ، وتسود لحظة صمت) ـ نملة ! ـ (تتراجع ، وبولولة) ـ ويللي ، نملة ، نملة على قيد الحياة ! ـ (تقبض على المنظار المكبر ، وتميل على الأرض ثانية ، وتفحص من خلال المنظار) ـ أين ذهبت ؟ ـ (تتفحص) ـ آه ! ـ (تتابع تحركها من خلال العشب) ـ لها في أذرعها ما يشبه الكرة البيضاء الصغيرة ـ (تتابع تحركها . ثم تتوقف يدها ، وتسود لحظة صمت) ـ اختفت بالداخل ـ (تستمر لحظة تحدق في بقعة من خلال المنظار ، ثم تعتدل في جلستها ببطء ، وتضع المنظار على الأرض ، تخلع النظارة ، وتحدق أمامها ، والنظارة في يدها ، وتقول في آخر الأمر) تشبه الكرة البيضاء الصغيرة ـ (تسود فترة صمت طويلة ، ثم تصدر حركة تنم عن وضع النظارة على الأرض) .

ويللي : ببض .

ويني : (تمسك عن الحركة) ماذا ؟

(تسود لحظة صمت)

ويللي : ببض (تسود فترة صمت ، ثم تصدر حركة تنم عن وضع المنظار على الأرض نمل (بفتح الميم)

ويني : (تمسك عن الحركة) ماذا ؟

(تسود لحظة صمت)

ويلى : نمل (بفتح الميم)
(تسود فترة صمت ، تضع النظارة على الأرض ، ترنو ببصرها الى الأمام ، وتقول فى آخر الأمر)
وينى : (تتمتم) ـ يا الهى ! ـ (تسود لحظة صمت ، ثم يضحك ويلى بهدوء ، وبعد لحظة تشاركه وينى فى الضحك ، ويضحكان معا فى هدوء ، يتوقف ويلى عن الضحك . تواصل وينى الضحك وحدها لحظة من الزمن ، يشاركها ويلى ثم يضحكان معا ، تتوقف وينى ، يواصل ويلى الضحك فترة ثم يتوقف وتسود فترة صمت ، وبعدها تقول وينى فى نبرة صوت طبيعية) ـ آه ، كم هو رائع على أية حال أن أسمعك تضحك ثانية يا ويلى ، كنت مقتنعة بأننى لن أسمعك أبدا ، وبأنك لن تضحك أبدا (لحظة صمت)
ـ أظن أن بعض الناس سيقولون عنا إننا تافهون وغير محترمين ، ولكننى أشك فى هذا (لحظة صمت) ـ كيف يستطيع الانسان أن يمجد الاله العلى القدير تمجيدا أفضل من أن يضحك معه لدعاباته الصغيرة ، وبخاصة من هم أشد الناس فقرا ؟ (تسود لحظة صمت) ـ أظنك توافقنى على هذا يا ويلى ، (فترة صمت) ـ أم أننا كنا نضحك لشيئين يختلف أحدهما على الآخر تمام الاختلاف ؟ (تسود لحظة صمت) ـ لا بأس ، ماذا يهم ، هذا ما أقوله دائما ، مادام الانسان .. أنت تعرف ...

ما هذا البيت الرائع .. ضحك زائد عن الحد ..
وهناك شيء ما ، شيء ما .. ضحك زائد عن الحد
وســـــط أشد المصائب قسوة وأكثرها ضراوة ـ
(فترة صـــــمت) ـ والآن ؟ ـ (فترة طويلة من
الصمت) هل كنت في يوم من الأيام جديرة بالحب
يا ويلي ؟ (لحظة صمت) هل كنت في أي وقت من
الأوقات جديرة بالحب ؟ (لحظة صمت) ـ لا تسيء
فهم سؤالي ، أنا لا أسألك ان كنت قد أحببتني ،
فنحن نعرف كل ما يتعلق بهذا الموضوع . وانما
أسألك ان كنت قد وجدتني جديرة بالحب ـ في
وقت من الأوقات ـ (لحظة صـــــمت) لا ؟ (لحظة
صمت) لا تستطيع ؟ (لحظة صمت) لا بأس . فأنا
أعترف بأنه سؤال صعب ،وأنت قد فعلت أكثر
مما في مقدورك حتى الآن ، وليس عليك الآن ،
الا أن تستلقي على ظهرك وتستريح ، وأنا لن أعود
الى ازعاجك اللهم الا اذا اضطررت الى ذلك ـ لمجرد
أن أعرف أنك لازلت موجودا على مدى السمع ،
وأنك في شبه حالة الانتباه بدرجة معقولة ـ أوه ـ
بما يكفي لأن يجعلني أغرق في جنـــــات النعيم
(تسود فترة صمت) لقد تقدم النهـــار الآن .
(تبتسم) ـ عدنا الى الكلام بالأسلوب القديم ـ
(تكف عن الابتسام) ـ وربما لم يجيء الوقت بعد
لكي أغني أغنيتي ـ (لحظة صمت) ذلك لأني أرى

أن التبكير بالغناء خطأ كبير (وهى تتجه الى الحقيبة) هناك الحقيبة بالطبع ـ (تنظر الىالحقيبة) الحقيبة (تعود الى الأمام) ترى هل يمكننى أن أحصى محتوياتها ؟ (صمت) ـ لا ـ (صمت) ترى هل أستطيع أن أجيب ان جاءنى انسان طيب وسألنى ما الذى معك يا وينى فى هذه الحقيبة السوداء الـــكبيرة ؟ هل أستطيع أن أجيب عليه اجابة وافية ؟ (صـــمت) لا ·· (صمت) الأعماق بنوع خاص ، من يدرى ما تنطوى عليه الأعماق من كنوز (صمت) وماتنطوى عليه من الوان العزاء · (تستدير لتنظر الى الحقيبة) ـ أجل ، هذه هى الحقيبة (تعود فتتجه الى الأمام) ولكن شيئا ما يقول لى ، لا ترهقى الحقيبة بالعمل يا وينى ، انتفعى بها بالطبع ، واجعليهـــــا فى خدمتك ·· عندما تعجزك الحيلة بالتأكيد ، ولـــكن كونى بعيدة النظر ، شىء ما يقول لى ، كونى بعيدة النظر يا وينى ، بعيدة النظر الى الحد الذى لابد أن تضيع فيه الكلمات (تغمض عينيها ، وتسود لحظة صمت ، ثم تفتح عينيها) ـ ولا ترهقى الحقيبـــــة بالعمل · (تسود لحظة صمت ، ثم تستدير لتنظر الى الحقيبة) ربما وضعت يدى فيهـــــا مجرد مرة واحدة ـ (تعود الى الأمام ، ثم تغمض عينيها وتمد ذراعها الأيسر ، وتدب يدها فى الحقيبة ، وتخرج منها مسدسا ، وباستياء) أنت مرة ثانية ! (تفتح

عينيها ، وتصوب المسدس الى الأمام وتتأمله ، ثم تزن ثقله فى راحة يدها) لابد أنك تظن أن وزن هذا الشيء سوف يهوى بيدى فى ... النوبات الأخيرة ، ولكن لا ، انه لا يفعل شيئا من هذا القبيل ... انه دائماً فى سمو وارتفاع ، مثله فى ذلك مثل براوننج ، (تسود لحظة صمت) براونى .. (تستدير قليلا فى اتجاه ويللى) هل تذكر براونى يا ويللى (فترة صمت) تصر على أن انتزعه منك ؟ وكنت تقول لى ، انتزعيه يا وينى ، انتزعيه ، قبل أن أهرب بجلدى مما أنا فيه من شقاء . (تعـــود فتتجه الى الأمام ، وبسخرية واستهزاء) شقاؤك أنت ؟ (وهى تخاطب المسدس) أوه ، أظن أنه مما يشعرنى بالارتياح أن أعرف أنك موجود هنا ، ولكننى قد سئمتك . (لحظة صمت) سأتركك فى زوايا النسيان ، هذا ما أنتوى عمله . (تضع المسدس على يمينها على الأرض) لتبق هناك ، فهذا هو مثواك من اليوم فصاعدا . (تبتسم) عـــدنا الى الكلام بالأسلوب القديم (تكف عن الابتسام) ــ والآن ؟ ــ (تسود فترة صمت طويلة) هل مازالت قــوة الجاذبية كما كانت عليه يا ويللى ، لا أظن . (لحظة صمت) أجل . ان شعورى يزداد بأنه لو لم يكن هناك ما يجذبنى . (تتحرك حركة فيها ايماءة) ــ بهذه الطريقة ، لكنت ببساطة قد ارتفعت فى طبقات

الجو العليا · (لحظة صمت) وأنه ربما يجيء يوم من الأيام ، تميد فيه الأرض ، وتسمح لى بالارتفاع ، ان الجذب عظيم للغـــاية ، نعم ، فهو يحطم كل ما يحيط بى · ويدفع بى الى الخارج (لحظة صمت) ألم ينتبك هذا الشعور أبدا يا ويللى ، الشعور بأن شيئا ما يدفعك الى أعلى ؟ (لحظة صمت) ألا تضطر أحيانا الى التشبث بشيء ، يا ويللى ؟ (تسود لحظة صمت ، ثم تتجه اليه قليلا)

ويللى

(تسود لحظة صمت)

ويللى : يدفعك الى أعلى ؟

وينى : نعم يا حبيبى ·· الى أعلى ·· فى داخـــل القبة الزرقاء ، مثل لعاب الشمس (لحظة صـــمت) ألم يحدث هذا ؟ (لحظة صمت) ألا تشعر بهذا ؟ (لحظة صمت) لا بأس ، انها قوانين طبيعيـــة ، قوانين طبيعية ، وأظن أن مثلها مثل كل شيء آخر ، فى أنها جميعا تتوقف على الـــكائن الذى تكونه ، وكل ما أستطيع أن أقوله هو أن هذه القوانين ، من ناحيتى وبالنسبة لى ، ليست ما كانت عليه عندما كنت صغيرة و ··· حمقاء و ··· (تخفض رأســها ، وبتلعثم واضطراب) ·· جميلة ·· وربمـــا ·· جذابة ·· بصورة من الصور ·· لكى أكون موضع

نظرة (لحظة صمت ، ثم ترفع رأسها) سامحنى
ياويللى ، فلا يزال الأسى يباغتنى (وبنبرة صوت
طبيعية) آه ... لا بأس ، فكم هو رائع على أية حال .
أن أعرف أنك موجود هناك ، كما هى العادة ، وأنك
ربما كنت مستيقظا ، وربما كنت على علم بكل هذه
الأشياء ، أو ببعض هذه الأشياء ، ياله من يوم
سعيد بالنسبة لى (لحظة صمت) سعيد للغاية
(لحظة صمت) انها نعمة ألا تنمو الأشياء ، تصور
لو أن كل هذه الأشياء بدأت تنمو من جديد .
(تسود لحظة صمت) تصور . (تسود لحظة
صمت) آه ، طيب ، رحمات واسعة ، (تسود
فترة صمت طويلة) لا أستطيع أن أقول شيئا أكثر
من هذا (لحظة صمت) فى هذه اللحظة (لحظة
صمت ، ثم تستدير لتنظر الى الحقيبة ، تعود فتتجه
الى الأمام ، ثم تبتسم) لا .. لا (تكف عن الابتسام
ثم تنظر الى الشمسية) أظن أنه يمكننى - (ترفع
الشمسية) - نعم ، أظن أنه يمكننى .. أن أفتح
هذا الشىء الآن ، (تبدأ فى فتح الشمسية ،
وتستغرق وقتا فى التغلب على الصعوبات الآلية)
يظل الانسان يدخل أشياء ، ويخرج أشياء ، خوفا
من أن يخرج أشياء قبل الأوان ، ويمر النهار مر
الكرام ، يمر تماما مر الكرام ، من غير أن يخرج
الانسان شيئا ، من غير أن يخرج شيئا على الاطلاق .

(الشمسية الآن مفتوحة عن آخر ، تستدير ناحية اليمين ، وتدير الشمسية بكسل واسترخاء هنا وهناك) آه ، طيب ـ ما قلناه أقل من أن يقال ، وما عملناه أقل من أن يعمل ، وعلى هذا فالخوف عظيم ، عظيم للغاية ، فهناك أيام بعينها ، يجد الانسان فيها نفسه ٠٠ مهجورا ، مهملا ، ولا تزال الساعة تجرى ، قبل أن يدق جرس النوم ، ولا شيء يقال أكثر مما قلناه . ولا شيء يعمل أكثر مما عملناه، لأن الأيام تمر مر الكرام بعينها تمر مر الكرام ، تمر تماما مر الكرام ، ويدق الجرس ، ولما نقل شيئا أو قليل هو ما قلناه ، ولما نعمل شيئا ، أو قليل هو ما عملناه ٠ (ترفع الشمسية) وهذا هو مصدر الخطر (تعود فتتجه الى الأمام) وما يجعلنى أحتاط لهذا الخطر (ترنو ببصرها الى الأمام ، وهى ترفع الشمسية بيدها اليمنى ، وتسود أطول فترة ممكنة من الصمت) اعتدت أن أفرز عرقا غزيرا ٠ (صمت) والآن أفرز وبصعوبة ، بصعوبة بالغة ٠ (صمت) ومع أن الحرارة شديدة جدا ٠ (صمت) الا أن العرق قليل جدا (صمت) وهذا ما أراه رائعا للغاية (صمت) الطريقة التى يكيف بها الانسان نفسه (صمت) مع الظروف المتغيرة (تنقل الشمسية الى يدها اليسرى ، وتسود فترة طويلة من الصمت) عملية الرفع تتعب الذراع (تسود

لحظة صمت) لا أستطيع أن أتحرك (تسود لحظة
ماشيا فى الطريق (تسود لحظة صمت) انها تتعبه
فقط اذا كان جالسا مستريحا (تسود لحظة صمت)
هذه ملاحظة غريبة (لحظة صمت) أرجو أن تكون
قد سمعت ذلك يا ويللى ، وكم يؤسفنى أن أعرف
أنك لم تسمع شيئا من ذلك . (تأخذ الشمسية فى
كلتا يديها ، وتسود فترة طويلة من الصمت) كم
يرهقنى أن أرفعهـــا الى أعلى دون أن أضـــعها على
الأرض ، هيا يا ويللى ، وسأطيع أوامرك فورا كما
(لحظة صمت) أسوأ لى أن أرفعها الى أعلى من أن أضعها
على الأرض ولكنى لا أستطيع أن أضعها على الأرض
العقل يقول لى ، ضعيها على الأرض يا وينى ، فانها
لا تساعدك فى شىء ضعى هذا الشى على الأرض ، وخذى
شيئا آخر غيره . (تسود لحظة صمت) ولكنى لا أستطيع
لحظة صمت) ولو أنها لا تتعبه اذا كان الانسان
صمت) أصدر لى أمرا بأن أضع هذه الشمسية على
يشغل حيزا من الفراغ ، ويحدث نوعا من التغيير ،
قول هذا ولكنى لا أستطيع أن أتحرك ، لو أنى
أعود الى الحركة مرة ثانية . (لحظة صمت) ويللى
(بوداعة) ساعدنى (لحظة صمت) لا ؟ (لحظة
صمت) لا ، ان شيئا ما لابد أن يحدث فى العالم .
الأرض .) ولكنى لا أستطيع ان أضعها على الأرض
كنت أفعل دائما ، كما كنت أحترمك وأطيعك .

(صمت) أرجوك · يا ويللى (بوداعة) أستحلفك
بالرحمة والحنان · (لحظة صـــمت) لا ؟ (لحظة
صمت) لا تســـتطيع ؟ (لحظة صـــمت) حسن
فأنا لا ألومـــك ، لا ، فـــلا يليـــق بى
أنا التى لا أستطيع أن أتحرك أن ألقى اللوم على
عزيزى ويللى لأنه لا يستطيع أن يتكلم · (لحظـــة
صمت) ولكنى لحسن الحظ عدت ثانية الى الكلام ·
(لحظة صمت) عندى مصباحان ، اذا انطفأ أحدهما
بدأ الآخر فى الاشتعال ، وهذا ما أراه غاية فى
الروعة ، (تسود لحظة صمت) أوه ، أجل ، انهـا
رحمات واسعة · (تسود أطول فترة ممكنة من
الصمت ، واذا بالشمسية تشتعل فيها النـــار ،
ويصعد منها الدخان ، وتتراقص ألسنة اللهب ان
كان ذلك فى الامكان ، تتشمم الرائحة ، وتنظر الى
أعلى ، ثم تلقى بالشمسية الى يمينها وراء الربوة ،
وتتمطى خلفها لتشاهدها وهى تحترق ، (تسود
لحظة صمت) آه أيها التراب) ، يا آلهـــة الاطفاء
العتيقة · (تعود فتتجه الى الأمام) أظن أن هذا قد
حـــدث من قبل ، ولو أنى لا أستطيع أن أتذكر
(صمت) هل تستطيع أنت يا ويللى ؟ (تتجه نحوه
قليلا) هل تستطيع أن تذكر أن هذا قد حـدث
من قبل ؟ (تسود لحظة صمت ، ثم تتمطى خلفها
لتطل عليه) هل تعرف ما الذى حدث يا ويللى

(لحظة صمت) هل أعرضت عنى مرة ثانيـــة ؟
(لحظة صمت) أنا لا أسألك ان كنت تحيا كل هذا الذى يجرى ، وانما أسألك فحسب ، ان لم تكن قد أعرضت عنى مرة ثانية ٠ (لحظة صمت) يبدو أن عينيك مغمضتان ، ولكن هذا ليس له معنى خاص فيما نعرف (لحظة صمت) ارفع اصبعك يا عزيزى ارفعه أرجوك ، ان لم تكن قد فقدت الاحساس تماما (لحظة صمت) افعل ذلك من أجلى يا ويلى ، أرجوك ، الخنصر وكفى ، ان كنت لا تزال فى وعيك (صمت ، وبابتهاج) أوه ، كل الأصابع الخمس ، أنت اليوم حبيبى ، وربما واصلت الآن بعقل مستريح ، (تعود فتتجه الى الأمام) أجل ، ما هو الشىء الذى حدث ، ذلك لم يحدث من قبل ، ومع ذلك فأنا فى عجب من أمرى ، أجل أنا أعترف بأننى فى عجب (لحظة صمت) والشمس متوهجة بكل هذه الضراوة ، وتوهجها يزداد ضراوة فى كل ساعة ، أليس من الطبيعى أن تشتعل النار فى أشياء لم يعرف عنها مطلقا أنها تشتعل ، أعنى بهذه الطريقة التلقـائية (لحظة صمت) أو لن أنصهر أنا نفسى فى النهاية أو أحترق ، أوه ، أنا لا أقصد بالضرورة أن أحترق فى ألسنة اللهب ، لا ، وانما أعنى أن تلفحنى النار شيئا فشيئا حتى تحيلنى الى رماد أسود ، كل هـذا (تحرك ذراعيها حركة فيها الدلالة الكافية) كل

هذا اللحم الذى يمكن رؤيته (لحظة صمت) ومن ناحية أخرى ، هل سبق لى أن عرفت وقتا ساد فيه الاعتدال ؟ (لحظة صمت) لا · (لحظة صمت) انى أتكلم عن الأوقات المعتدلة ، والأوقات الحارة ، انها كلمات فارغة خالية من المعنى (لحظة صمت) انى أتكلم عن الوقت الذى لم أكن فيه قد قيدت بعد - بهذه الطريقة - وكانت لى ساقان ، وكنت أنتفع مثلك بساقى ، كنت أستطيع أن أبحث مثلك عن مكان ظليل عندما أتعب من الشمس ، أو عن مكان مشمس عندما أتعب من الظل · وكلها كلمات فارغة خالية من المعنى · (تسود لحظة صمت) ليس اليوم أشد حرارة من الأمس ، ولن يكون غدا أشد حرارة من اليوم ، وكيف يمكن ذلك ؟ هكذا كانت فيما سبق فى الماضى السحيق ، وفيما هو آت فى المستقبل البعيد · (تسود لحظة صمت) واذا غطت الأرض فى يوم من الأيام ثدياى ، فعندئذ لن أرى ثديى أبدا ، ولكن يرى أحد ثديى على الاطلاق · (لحظة صمت) أرجو أن تكون قد سمعت شيئا من ذلك يا ويلى ، وسأكون آسفة اذا عرفت أنك لم تسمع شيئا من هذا كله ، فأنا لا أرتفع كل يوم الى تلك القمم العالية · (لحظة صمت) نعم ، شىء ما يبدو أنه قد حدث ، شىء ما بدا أنه قد حدث ، ولا شىء قد حدث ، لا شىء على الاطلاق ، أنت على صواب

يا ويلى (لحظة صمت) غدا سيعود ظل الشمس الى هناك ، وسيكون الى جوارى فوق هذه الربوة ليساعدنى خلال النهار • (تسود لحظة صمت ، ثم ترفع المرآة) اننى أرفع هـــذه المرآة الصـــغيرة ، وأكسرها على الحجر ـ (تفعل ذلك) ـ وألقى بها بعيدا ـ (تفعل ذلك ، فتلقى بها بعيدا فيما وراءها) غــدا ستكون فى الحقيبة مرة ثانية ، دون ان يصيبها خدش ، لتساعدنى خلال النهار (لحظة صمت) لا ، لا يســـتطيع الانسان أن يفعل شيئا (لحظة صمت) هذا ما أراه غاية فى الروعة ، الطريقـــة التى تجعل الأشياء يتهدج صوتهــــا . وتخفض رأسها) ـ الأشياء ـ غاية فى الروعة ـ (تسود فترة طويلة من الصمت ، تخفض فيها رأسها ، وأخيرا تتجه نحو الحقيبة وهى لا تزال منحنية . وتخرج منها فضلات ونفايات لا يمكن التعرف عليها ، وتحشرها ثانية بعمق ، وأخيرا تخرج صندوق موسيقى ، تملأ زنبركاته ، وتدير مفتاحه ، وتصغى لمدة لحظة حاملة اياه فى كلتا يديها . وهى مكومة فوقه ، وتعود فتتجه الى الأمام • تعتدل فى جلستها ، وتنصت الى اللحن، وهى تحمل الصندوق الى صدرها بكلتا يديها ، واللحن المنبعث من الصندوق هو لحن ـ والتز دويت ـ أحبك حبا شديدا ـ من أوبرا الأرملة الطروب ، وشيئا فشيئا يغمرها تعبير من الســـعادة ، وهى

تتمايل على ايقـاع اللحن · تتوقف الموســـيقى ، وتسود لحظة صمت · ينفجر ويللى فيغنى بصوت أجش أغنية قصيرة بدون كلمات ، وهى نفسها اللحن المنبعث من الصندوق الموسيقى ، يزداد تعبيرها عن السعادة ، فتضع الصندوق على الأرض ، وتقول) أوه ، سيكون هذا اليوم يوما سعيدا ! (تصـــفق بيديها) آعد ، يا ويللى ، أعد ! (تصفق) آعد ! يا ويللى ، أرجوك ! (تسود لحظة صمت) ، ويختفى تعبير السعادة) ــ لا ؟ لا تريد أن تفعل ذلك من أجلى ؟ (تسود لحظة صمت) لا بأس ، فهذا شىء مفهوم جدا ، مفهوم جدا ، فالانسان لا يستطيع أن يغنى لمجرد ارضاء بعض الناس ، ومهما كان الانسان يحب هؤلاء الناس حبا شديداً ، لا ، فالأغنية لابد أن تنبعث من شغاف القلب ، وهذا ما أقوله دائما ، أن تفيض من الأعماق مثلها فى ذلك مثـــــل طائر الدج · (لحظة صمت) وما أكثر ما كنت أقول ، فى ساعات النحس والضيق ، غن الآن يا وينى ، غن أغنيتك ، فليس هناك وقت آخر تغنى فيه ، ولم آكن أغنى شيئا · (لحظة صمت) ولم آكن أستطيع أن أغنى شيئا · (لحظة صمت) لا ــ مثل طائر الدج ، آو طائر الفجر الذى لا يفكر فى أى فائدة ســـواء بالنسبة لنفسه أو بالنسبة لأى شـــخص آخر · (لحظة صمت) والآن ؟ (تسود فترة صمت طويلة ،

ثم بصوت خفيض) شعور غريب · (تسود لحظة صمت ، ثم تستطرد فتقول) ينتابني شعور غريب بأن شخصا ما ينظر الى عندما أكون صافية المزاج ، ثم معتمة ثم ساهية ثم معتمة مرة ثانية ، وصافية مرة ثانية ، وهكذا الى الوراء والى الأمام ، الى الداخل والى الخارج ، من خلال يمين أحد الأشخاص (تسود لحظة صمت ، ثم تستطرد فتقـــول) غريب ؟ (صمت ، ثم تستطرد فتقول) لا ، فكل شيء هنـا غريب (تسود لحظة صمت ، وبنبرة صوت طبيعية) شيء ما يقول لى ، كفى الآن عن الكلام يا ويني لمدة دقيقة ، ولا تبددى كل ما عندك من الكلمات فى هذا اليوم ، كفى عن الكلام وافعلى شيئا ما بقصـــد التغيير ، هل فعلت ؟ (ترفع يديها وتبقيهما مفتوحتين أمام عينيها ، وبمناجاة خطابية) افعلى شيئا ما ! (تضم يديها) يالها من مخالب ! (تتجه نحـــو الحقيبة ، تفتش فيها ، وأخيرا تخرج منهـــا قلامة الأظافر ، تعود فتتجه الى الأمام وتبـــدأ فى تقليم الأظافر ، تقلم فى صمت فترة من الوقت ، ثم يتخلل تقليمها لأظافرها ما يلى) هناك يطفو ــ فوق سطح أفكارى ــ شخص ما يقال له مستر شاور ، شخص ما اسمه مستر شاور ، وربما مسز شاور ، لا ، انهما يمسكان بيدى بعضهما ، أغلب الظن اذن انهـــا خطيبته ، أو مجرد حبيبته · (تنظر الى أظافرها

بامعان) انها اليوم هشة جدا ، (تواصل التقليم) شاور ـ شاور ـ ألا يعنى الاسم شيئا ـ بالنسبة لك يا ويللى ، ألا يستدعى أية حقيقة . أقصد بالنسبة لك يا ويللى ، لا ترد ان كنت لا تشعر ، برغبة فى ذلك ، لقد فعلت أكثر مما تحتمل طاقتك ـ حتى الآن ـ شاور ، شاور . (تعاين الأظافر المقلمة) أكثر مما تحتمل طاقتك . (ترفع رأسها ، وترنو ببصرها الى الأمام) احتفظى برشاقتك يا وينى ، هذا ما أقوله دائما ، ومهما حدث ، افعلى ما يمكن أن يحافظ على رشاقتك . (تسود لحظة صمت ، ثم تواصل التعليم) أجـــــل ، شاور ، شاور ـ (تكف عن التعليم ، وترفع رأسها . ترنو ببصرها الى الأمام ، وتسود فترة صمت) ـ أو ، كوكر ، فربما كان على أن أقول كوكر (تتجه قليلا نحـــو ويللى) كوكر يا ويللى ، وهل يذكرك كوكر بشىء ؟ (تسود لحظة صمت ، ثم تتجه اليه أزيد قليلا ، وبصوت أعلى) كوكر يا ويللى ، هل يذكرك كوكر بشىء ، أقصد اسم كوكر ؟ (تسود لحظة صمت ، ثم تتمطى خلفها لتطل عليه ، وتسود لحظة صمت) أوه ، حقا ! (لحظة صمت) أليس معك منـــديل يا عزيزى ؟ (لحظة صمت) ألست على شىء من الرقة ؟ (لحظة صمت) أوه ، يا ويللى ، لا يصح لك أن تأكله ! أبصقه يا عزيزى ، أبصقه ! (تسود

لحظة صمت ، ثم تعود فتتجه الى الأمام) آه لا بأس ، أظن أنه مجرد شيء طبيعي . (يتهدج صوتها) انسانى . (تسود لحظة صـــمت ، ثم تستطرد قائلة) ماذا ينبغى على « الانسان » أن يعمـــل ؟ (تخفض رأسها ، وتستطرد قائلة) طوال اليوم . (تسود لحظة صمت ، وتستطرد قائلة) ويوما بعد يوم . (تسود لحظة صمت ، ثم ترفع رأســـها ، تبتسم ، وتقول بصوت هادىء) الأسلوب القديم ! (تكف عن الابتسام ، وتواصل تقليم الأظافر) لا ، لقد قلمت هذا الظفر (تنتقل الى الظافر الذى يليه) كان ينبغى على أن ألبس النظارة (لحظة صمت) الوقت الآن متأخر جدا (تفرغ من يدهـا اليسرى وتعاينها) أكثر انسانية بقليل . (تبدأ فى اليد اليمنى ، وتعمل فى الفترة التالية ما عملته من قبل) لا بأس على أية حال ، فهذا المدعو شاور ، أو كوكر ، لا يهم والمرأة ، يدها فى يده ، وفى أيديهما الأخرى حقائب ، كأنها نوع من الحفر البنية الكبيرة ، قائمة هناك تحدق فى ، وأخيرا هذا الرجل المدعو شاور ، أو كوكر ، الذى ينتهى بحرف الراء ، على أية حال ، أراهن على ذلك بحياتى ، ماذا تراها تفعل ؟ انه يقول ، وماهى الفكرة ؟ يقول انهـــا مدفونة حتى ثدييها فى جوف الأرض الدامية ، انه انسان فظ ، ما معنى هذا الكلام ؟ هكذا يقول ، وما الذى يمكن

أن يعنيه ؟ وهلم جرا ، كمية كبيرة من هذا النوع ، اللفظ العادى ، انه يقول ، ترى هل تسمعينى ! وهى تقول ، اننى أسمعك ، كان الله فى عونى ، وهو يقول ما الدى تقصدينه ، كان الله فى عونك ؟ (تكف عن التقليم ، وترفع رأسها ، وترنو ببصرها الى الأمام) وهى تقول ، وأنت ، ما المقصود بك ، وما الذى يمكن أن تعنيه ؟ هل لأنك لازلت واقفا على قدميك المفلطحتين ، تغنى أغنيتك القـديمة ، المملوءة بالكلام عن الروث المعلب ، ومختلف الملابس التحتية ، تجرنى فى طول هـذا القفر وعرضه ، أيها الانسان الفظ ، الزوج الصـــالح ـ (وبعنف مفاجيء) أطلق سراح يدى ، اتركها بحق الله ، هى تقول ٠٠ اتركها ٠ (تسود لحظة صمت ، ثم تواصل التعليم) وهو يقول ٠٠ ترى لماذا لا يخرجها من الحفرة ؟ وهو يشير اليك يا عزيزى ، كيف يمكن أن تفيده ، وهى على هذا النحو ؟ وكيف يمكن أن يكون هو نافعا لها ، على هذا النحو ؟ وهلم جرا ، ثرثرة كالمعتاد ، يا الهى ! وهى تقول ٠٠ ارحمنى لوجه الله ، وهو يقول ٠٠ اخرجها من الحفرة ، أخرجها من الحفرة فلا معنى لها وهى على هذا النحو ، وهى تقول ٠٠ أنقب عنها بماذا ؟ لو كنت مكانه ، لنقبت حولها بيدى العاريتين ، لابد أنهمـــا كانا ، زوج وزوجة ، (تقلم فى صمت) والذى يلى ذلك هو

انهما يرحلان بعيدا ٠٠ ايديهما فى أيدى بعض .
والحقائب ، وتعتم الدنيا ، ثم يختفى ، آخر انوع
البشرى ، لكى يهيم فى هذا الطريق ٠ (تفرغ من
تقليم يدها اليمنى ، تعاينها ثم تضع قلامة الأظافر
على الأرض ، وترنو ببصرها الى الأمام) فى مثـل
هذا الوقت . يطرأ على ذهنى شىء غريب ٠ (لحظة
صمت) غريب ؟ (لحظة صمت) لا ، كل شىء هنا
غريب ٠ (لحظة صمت) أنا شاكرة على أية حال ٠
(يضعف صوتها) شاكرة جداً ٠ (تخفض رأسها ،
وتسود لحظة صمت ٠ ترفع رأسها ، وتقول بصوت
هادىء) أخفض رأسى وأرفعها ، أخفضها وأرفعها ،
وهكذا باستمرار ٠ (تسود لحظة صمت) والآن ؟
(تسود فترة طويلة من الصمت ، ثم تبدأ فى اعادة
الأشياء الى الحقيبة ، وأخيرا تعيد فرشاة الأسنان ،
ولا يقطع هذه العملية سوى لحظات صمت كالتى
سبق الاشارة اليها ، تتخلل ما يلى) ربما لم يحن
الوقت ، لكى أعد نفسى ، لحلول الليل ـ (تكف
عن ترتيب الأشياء ، ثم ترفع رأسها وتبتسم) ـ
الأسلوب القديم ! ـ (تكف عن الابتسام ، وتواصل
الترتيب) ومع ذلك فاننى ، أعد نفسى لحلول الليل ،
وعندما أشعر باقترابه ، ويدق الجرس ايذانا بالنوم ،
أقول لنفسى ، وينى ، لن يطـــول بك الوقت الآن
يا وينى ، حتى يدق الجرس ايذانا بالنوم ٠ (تكف

عن الترتيب ، وترفع رأسها) أحيانا آكون مخططة (تبتسم) ولكنى لا آكون مخططة فى أغلب الأحيان – (تكف عن الابتسام) أحيـــانا ينتهى كل شيء بالنسبة لى بالنهار . يعمل كل شيء ، ويقال كل شيء ، ويكون كل شيء على أتم استعداد لحلول الليل ولكن النهار لا ينتهى ، ويكون أبعد من أن ينتهى ، ولا يحل الليل ، ويكون أبعد ، أبعد من أن يحل . (تبتسم) ولكن ليس فى أغلب الأحيان . (تكف عن الابتسام) أجل ، يدق الجرس ايذانا بالنوم ، عندما أشعر باقترابه ، وعلى ذلك أعد نفسى لحلول الليل – تتحرك حركة فيها ايماءة) – على هـــذا النحو ، أحيانا آكون مخططة – (تبتسم) ولـــكنى لا آكون مخططة فى أغلب الأحيـــان . (تكف عن الابتسام ، وتواصل ترتيب الأشياء) جرت العـادة أن أفكر ، أقول ان العادة جرت أن أفكر ، فى أن كل هذه الأشياء ، التى أعيدها الى الحقيبة ، لو أننى أعدتها الى الحقيبة بأسرع ما يمكن ، لو أننى أعدتها بأسرع ما يمكن ، الا أننى يمكننى اخراجها مرة ثانية ، اذا لزم الأمر ، واذا احتاج الأمر ، وهلم جرا ... الى مالا نهاية – أعيد ادخالها الى الحقيبة ، وأعيد اخراجها من الحقيبة ، الى أن يدق الجرس – (تكف عن ترتيب الأشـــــياء ، ثم ترفع رأسها ، وتبتسم) ولكن – لا – (وبابتسامة أوسع) – لا –

لا ــ (تكف عن الابتسام . وتواصل الترتيب) أظن أن هذا ، قد يبدو غريبا ، هذا ما ترانى سأقول ، هذا الذى قلته ، أجل ــ (ترفع المسدس) غريب ، (تستدير لتضع المسدس فى الحقيبة) لو لم تكن الحقيبة ! (وبينما توشك على وضع المسدس فى الحقيبة ، تمسك عن الحركة ، وترنو ببصرها الى الأمام) ــ لو لم تكن الحقيبة ! (تضع المسدس الى يمينها على الأرض ، ثم تكف عن ترتيب الأشياء ، وترفع رأسها) ــ الأشياء كلها تبدو غريبة ــ (لحظة صمت) أكثر غرابة (لحظة صمت) بلا أى تغيير على الاطلاق . (لحظة صمت) والأشياء تزداد غرابة فوق غرابة (تسود لحظة صمت ، ثم تعود فتنحنى فوق الربوة ، وتأخذ آخر ما تبقى من الأشياء .. مثل فرشاة الأسنان ، وتستدير لتضعها فى الحقيبة عندما يجذب انتباهها اضطراب يأتى من ناحيـــة ويلى ، تتمطى خلفها والى اليمين لترى ما حـدث ، ثم تسود لحظة صـــمت) هل ضـــقت بجحرك يا عزيزى ؟ (لحظة صمت) ــ لا بأس ، فأنا أستطيع أن أفهم ذلك ــ (لحظة صمت) لا تنسى نصيبك من القش ــ (لحظة صمت) لم تعد الانسان الزاحف يا حبيبى المسكين ــ (صمت) لا ــ لم تعد الزاحف الذى وهبته قلبى . (لحظة صمت) اليدان والركبتان يا حبيبى ــ حاول أن تستخدم اليدين والركبتين

(لحظة صمت) الركبتان ! الركبتان ! (لحظة صمت)
يالها من لعنة ، القدرة على الحركه ! (تتابع بعينيها
تحركه نحوها وراء الربوة ، أو بالأحرى نحو المكان
الذى كان يشغله فى بداية الفصل) ـ خطوة واحدة
أخرى يا ويللى ، وتصبح فى بيتك . (تسود فترة
صمت ، بينما تراقب الخطوة الأخيرة) آه ! (تعود
فتتجه الى الأمام بصعوبة بالغة ، ثم تحك رقبتها)
التقلص الذى فى رقبتى بسبب اعجابى بك (تحك رقبتها)
ولكن الأمر يستحق ، نعم .. يستحق هذا تماما ـ
(تتجه نحوه قليلا) هل تعرف بماذا أحلم أحيانا ؟
(لحظة صمت) بماذا أحلم أحيانا يا ويللى ! (لحظة
صمت) فأنك ستفيق من غيبوبتك ، وتعيش
فى هذه الناحية ، حيث يمكننى أن أراك ! (تسود
لحظة صمت) ، ثم تعود فتتجه الى الأمام) وبأننى
سأكون امرأة أخرى (لحظة صمت) امرأة لا يمكن
التعرف عليها (تتجه نحوه قليلا) أو أنك من حين
لآخر ، سوف تأتى من هذه الناحية ، من حين لآخر ،
وتتركنى أسعد برؤيتك (تعود فتتجه الى الأمام)
ولكنك لا تستطيع ، هذا ما أعرفه (تخفض رأسها)
هذا ما أعرفه (تسود لحظة صمت ، ثم ترفع رأسها)
ولا بأس ، على أية حال ـ (تنظر الى
الفرشاة) حتى يدق الجرس (تظهر مرة أخرى

رأس ويلل من فوق المنحدر ، بينما تنظر ويني الى الفرشاة بامعان) ـ مضمون كل الضمان ـ (ترفع رأسها) ما هذا الذى حدث ؟ (تظهر يد ويلل وبها منديل ، تنشره فوق رأسه ، ثم تختفى) أصلى ٠٠ نقى ٠٠٠ مضمون كل الضمان (تظهر يد ويلل وبهـا قبعة ، تثبتها فوق رأسـه بزاوية مائلة ثم تختفى) ٠٠ أصلى ٠٠ نقى ٠٠ آه ! وبر الحلوف ! (تسود لحظة صمت) ما هو الحلوف بالضبط ؟ (تسود لحظة صمت ، ثم تتجه نحو ويلل باستخفاف) ما هو بالضبط ، الحلوف يا ويلل ، هل تعرف ؟ أنا لا أستطيع أن أتذكر (تسود لحظة صمت ، ثم تتجه اليه أزيد قليلا ، وبنوع من الرجاء) ما «هو» الحلوف يا ويلل ، أرجوك ! (تسود لحظة صمت)

ويلل : ذكر الخنزير المخصى (يبدو على وجه ويني تعبير عن السعادة) ـ الذى يجهزونه للمذبحة (يتزايد تعبير السعادة ، يفتح ويلل الصحيفة بحيث لا ترى يداه ، وتظهر سطوح صفحات صفراء على كلا جانبي رأسه . ترنو ويني ببصرها الى الأمام ، وعلى وجهها تعبيـر السعادة) .

ويني : أوه ، ان هذا اليوم ليوم سعيد ! سيكون هذا اليوم يوما سعيدا ـ مضى وانتهى (تسود لحظة صمت) فى النهاية (تسود لحظة صمت) متى هذه اللحظة !

(تسود لحظة صمت ، ويختفي تعبير السعادة ، يقلب ويلى الصحيفة ، وتسود لحظة صمت ، يقلب صفحة أخرى ، وتسود لحظة صمت)

ويلى : كان مقبلا على شباب نشيط (تسود لحظة صمت ، ثم تخلع وينى القبعة وتستدير لتضعها فى الحقيبة ، تمسك عن الحركة . وتعود فتتجه الى الأمام ، ثم تبتسم) ·

وينى : لا — (وبابتسامة أوسع) لا ، لا — (تكف عن الابتسام ، وتعود فتلبس القبعة ، ترنو ببصرها الى الأمام ، وتسود لحظة صمت) والآن ؟ (لحظة صمت) غنى (لحظة صمت) غنى أغنيتك ، يا وينى (لحظة صمت) لا ؟ (لحظة صمت) اذن ·· صلى (لحظة صمت) صلى صلاتك يا وينى ·

(تسود لحظة صمت ، ثم يقلب ويلى الصحيفة . وتسود لحظة صمت)

ويلى : مطلوب غلام ذكى

(تسود لحظة صمت ، ترنو وينى ببصرها الى الأمام ، ويقلب ويلى الصحيفة ، ثم تسود لحظة صمت ، تختفى الصحيفة ، وتسود فترة صمت طويلة) ·

وينى : صلى صلاتك القديمة ، يا وينى ·

(فترة صمت طويلة ····

يسدل الستار

● الفصل الثاني

المنظر هو نفسه المنظر السابق ٠

ويني مدفونة الى رقبتها ، قبعتها فوق رأسها ، وعيناها مغمضتان ، اما راسها الذى لم يعد فى امكانها أن تديره او تثنيه او ترفعه ، فيرى شاخصا الى الأمام دون أن يبدى حراكا طوال الفصل ، وأما حركات عينيها فهى كما هو مبين ٠ الحقيبة والشمسية كما كانتا عليه من قبل ، ويرى المسدس بوضوح وهو الى يمينها فوق الربوة ٠

تسود فترة صمت طويلة ٠

يرن الجرس بصوت عال ، فتفتح عينيها على الفور ، يتوقف الجرس عن الرنين ، فترنو ببصرها الى الأمام ، وتسود فترة طويلة من الصمت ٠

ويني : سلاما أيها النور المقدس (تسود فترة صـــمت طويلة ، ثم تغمض عينيهـــا ، يرن الجرس بصوت

عال ، تفتح عينها على الفور ، يتوقف الجرس عن الرنين ، فترنو ببصرها الى الأمام ، تعـــلو وجهها ابتسامة لفترة طويلة ، ثم تكف عن الابتســـام ، وتسود فترة طويلة من الصمت) شخص ما لايزال ينظر الى (لحظة صمت) ولايزال يهتم بأمرى (لحظة صمت) وهذا ما أراه غــاية فيالروعة (لحظة صمت) عندما تقع عيناه على عينى · (لحظة صمت) ما هذا الخط الذى لا يمكن نسيانه ؟ (تسود لحظة صمت ، ثم تتجه بعينيها ناحيـــة اليمين) ويللى (تسود لحظة صمت ، ثم بصوت أعلى) ويللى (تسود لحظة صمت ، ثم ترنو ببصرها الى الأمام) هل يظل الانسان يتكلم عن الزمن ؟ (لحظة صمت) مضى وقت طويل يا ويللى ، منذ أن رأيتك حتى الآن ، (لحظة صمت) ومنذ أن سمعت صوتك (لحظة صمت) ترى هل يستطيع الانسان ؟ (لحظة صمت) ترى هل يستطيع الانسان أن يفعل ؟ (تبتسم) الأسلوب القديم ! (تكف عن الابتسام) ليس هناك سوى القليل الذى يستطيع الانسان أن يتكلم عنــــه · (لحظة صمت) والانسان يتكلم عنه كله (صمت) يقول كل ما يستطيعه · (لحظة صمت) كنت أظن ··· (لحظة صمت) أقول اننى كنت أظن أنه لابد لى أن أتعلم لكى أتكلم بمفردى (لحظة صمت) أقصد بذلك أن أكلم نفسى ، هذا القفر (تبتسم) ولكن ··

لا ٠٠ (وبابتسامة أوسع) لا ٠٠ لا ٠٠ (تكف عن الابتسام) ومن أجل ذلك ، أنت موجود هناك ٠ (لحظة صمت) أوه ، لا شك أنك ميت مثل الآخرين ، ولا شك أنك قد فارقت الحياة ، أو أنك قد أعرضت عني ، وتركتني مثل الآخرين ، ولكن ، هذا لا يهم ، فأنت موجود هناك ٠ (تسود لحظة صمت ، ثم تتجه بعينها ناحية اليسار) ٠ والحقيبة هي الأخرى موجودة هناك ، تماما كما كانت في كل وقت ، فانني أستطيع أن أراها ٠ (تسود لحظة صمت ، ثم تتجه بعينيها ناحية اليمين ، وبصوت أعلى) الحقيبة موجودة هناك ٠٠ يا ويلي ٠٠ وديعة كما كانت في كل وقت ، الحقيبة التي أعطيتني اياها في ذلك اليوم ٠٠ لكي أذهب بها الى السوق ٠ (تسود لحظة صمت ، ثم تتجه بعينيها الى الأمام) في ذلك اليوم ٠ (لحظة صمت) أي يوم ؟ (لحظة صمت) كنت أصلي ٠ (لحظة صمت) أقول انني كنت أصلي ٠ (لحظة صمت) نعم ، يجب علي أن أعترف بأنني كنت أصلي (تبتسم) ولكنني لا أصلي الآن ٠ (وبابتسامة أوسع) لا ٠ ٠لا (تكف عن الابتسام ، وتسود لحظة صمت) اذن ٠٠ الآن ٠٠ ما هي الصعوبات القائمة هنا ، أمام العقل ! (لحظة صمت) ان ظللت دائما على ما أنا عليه ، ومختلفة تماما عمـــا كنت عليه ٠ (لحظة صمت) فأنا هذه الشخصية ، أقول انني

هذه الشخصية ، ثم تلك الشخصية • (لحظة صمت)
أنا هذه ، ثم تلك (لحظة صمت) هناك القليل الذى
يستطيع الانسان أن يتكلم عنه ، والانسان يقوله
كله (لحظة صمت) يقول ما يستطيع أن يقوله
(لحظة صمت) وهو ليس حقيقيا فى أى جزء منه •
(لحظة صمت) ذراعاى (لحظة صمت) ثدياى (لحظة
صمت) أى ذراعين ؟ (لحظة صمت) وأى ثديين ؟
(لحظة صمت) ويللى (لحظة صمت) أى ويللى ؟
(وبتأكيد قوى مفاجىء) عزيزى ويللى ! (تتجـــه
بعينيها ناحية اليمين ، وتنادى) ويللى ! تسود لحظة
صمت ، وبصوت أعلى) ويللى ! (تسود لحظة صمت ،
ثم تتجه بعينيها الى الأمام) آه ، حسن ، فليس
لى أن أعرف . ليس لى أن أعرف بالتأكيـــد كل
ما أطلبه ، ياللرحمة الواسعة (لحظة صمت) آه ،
طيب •• ثم •• الآن •• خشب الزان الأخضر ••
هذا •• شارلى يقبل •• كل هذا الارهاق الذهنى
الشديد (لحظة صمت) ولكنه لا يرهق ذهنى •
(تبتسم) ليس الآن ! (وبابتسامة أوسع) لا ••
لا •• (تكف عن الابتسام ، وتسود فترة طويلة من
الصمت) ويللى (لحظة صمت) هل تظن يا ويللى أن
الأرض فقدت غلافها الجوى ؟ (لحظة صـــمت) هل
تظن ذلك يا ويللى ؟ (لحظة صمت) أليس لك رأى ؟
(لحظة صمت) لا بأس ، فهذا هو أنت ، لم يكن لك

أبدا رأى فى أى شىء ٠٠ (لحظة صمت) وهذا شىء مفهوم ٠ (لحظة صمت) أشد الفهم ٠ (لحظة صمت) الكرة الأرضية (لحظة صمت) انى لأتعجب فى بعض الأحيان ٠ (لحظة صمت) ولعلى لا أتعجب كل العجب (لحظة صمت) فهناك باستمرار شىء ما يتبقى ٠ (لحظة صمت) شىء ما يتبقى من كل شىء ٠ (لحظة صمت) بعض الشىء يتبقى (لحظة صمت) لو أن العقل يذهب ٠ (لحظة صمت) ! ولكنه لا يذهب بطبيعة الحال ٠ (لحظة صمت) لا يذهب تماما ٠ (لحظة صمت) وليس عقلى هو الذى يذهب (تبتسم) ليس الآن (وبابتسامة أوسع) لا ٠٠ لا ٠٠ (تكف عن الابتسام ، وتسود لحظة صمت) لابد أنها البرودة الدائمة (لحظة صمت) البرودة الأبدية المدمرة ٠ (لحظة صمت) مجرد صدفة ، وفى رأيى أنها صدفة سعيدة (لحظة صمت) أوه ، نعم ، هذه رحمات واسعة ، رحمات واسعة (لحظة صمت) والآن ؟ (فترة صمت طويلة) الوجه (لحظة صمت) والأنف (تنظر بحول الى أسفل) فى استطاعتى أن أراه ٠٠ (وهى تنظر بحول الى أسفل) ٠٠ الطرف ، المنخران نفس الحياة ٠٠ هذه الاستدارة التى كنت تعجب بها ٠٠٠ (تمط شفتيها) ايماءة بالشفة (تمط شفتيها مرة ثانية) ٠٠ اذا مطتها طلبا لقبلة ٠٠ (تخرج لسانها) ٠٠ واللسان لطبيعه الحال ٠٠ الذى كنت

تقدره كل التقدير لو أننى أبرزه الى الخارج (تخرج لسانها مرة ثانية) ·· والطرف ·· (ترفع عينيها الى أعلى) ·· والشك الذى يتبدى على جبهتى ··· وحاجبى ·· وربما فى خيالى ·· (تتجه بعينيها ناحية اليسار) ·· والوجنة ·· لا ·· (تتجه بعينيها ناحية اليمين) ·· لا ·· (تبرز وجنتيها) حتى عندما كنت أنفخ الوجنتين الى الخارج ·· (تتجه بعينيها ناحية اليسار ، وتبرز خديها مرة ثانية) ·· لا ·· لا ، ليستا كالحرير الدمشقى · (تتجه بعينيها الى الأمام) هذا كل ما فى الأمر ! تسود لحظة صمت) الحقيبة بطبيعة الحال ·· (تتجه بعينيها ناحية اليسار) ربما كانت غشية بسيطة ولكن الحقيبة (تتجه بعينيها الى الأمام ، وبسرعة) الأرض والسماء بطبيعة الحال · (تتجه بعينيها ناحية اليمين) والشمسية التى أهديتها لى ، فى ذلك اليوم · ·(لحظة صمت) ·· فى ذلك اليوم ·· البحيرة ·· والبوص (تتجه بعينيها الى الأمام ، وتسود لحظة صمت) أى يوم ؟ (لحظة صمت) وأى بوص ؟ (تسود فترة صمت طويلة . ثم تغمض عينيها · يرن الجرس بصوت عال ، فتفتح عينيها ، تسود لحظة صمت ، ثم تتجه بعينيها ناحية اليمين) براونى بالطبع (صمت) براونى موجود هناك يا ويللى ، فى استطاعتى أن أراه (لحظة صمت)

براونى موجود هناك يا ويللى ، موجود بالقرب منى ٠
(تسود لحظة صمت ، وبعدها تقول بصوت عال)
براونى موجود هناك يا ويللى (تسود لحظة صمت ،
تتجه بعينيها الى الأمام) هذا كل ما فى الأمـــر ٠
(تسود لحظة صمت) ما الذى أستطيع أن أعمله ؟
بدونها ؟ (تسود لحظة صمت) ما الذى أستطيع
أن اعمله بدونهـــا ، عندما تضيع منى الكلمات ؟!
(تسود لحظة صمت) أحدق فيما هو أمامى ، وشفتاى
مضمومتان ٠ (تسود لحظة صمت ، بينما تفعـــل
هذا) لا أستطيع (لحظة صمت) آه . طيب ، رحمات
واسعة ، رحمات واسعة) تسود فترة صمت طويلة ،
وبعدها تقول بصوت خفيض) اننى لا أسمع أصواتا
فى بعض الأحيان ٠ (يعلوها تعبير الانصـــات ، ثم
تقول بنبرة صوت طبيعية) ولكن ليس فى كل الأحيان
(لحظة صمت) انها نعمة ، الأصوات نعمة ، فهى
تعيننى أثناء النهار ٠ (تبتسم) الأسلوب القديم !
(تكف عن الابتسام) نعم ، انها أيام سعيدة تلك
التى توجد فيها الأصوات ٠ (لحظة صمت) تلك التى
أسمع فيها الأصوات ٠ (لحظة صمت) كنت أظن ٠٠
(لحظة صمت) ٠٠٠ أقول اننى كنت أظن أنها كانت
موجـــودة فى رأسى ٠ (تبتسم) ولكن ، لا ٠٠
(وبابتسامة أوسع) لا ٠٠ لا (تكف عن الابتسام)
كان مجرد كلام منطقى (لحظة صمت) كلام معقول ٠

(لحظة صمت) فأنا لم أفقد صوابى (لحظة صمت)
لم أفقده بعد ٠ (لحظة صمت) لم أفقده كله ٠ (لحظة
صمت) ما زال هنـــاك بعضه ٠ (لحظة صمت) ،
الأصوات (لحظة صمت) مثل نتف ٠٠ صغيرة ،
مثل مساقط مياه صغيرة ٠٠ مقفرتة ٠ (تسود لحظة
صمت ، وبعدها تقول بصوت خفيض) انها أشياء
يا ويللى ! (تسود لحظة صمت ، وبعدها تقول نبرة
صوت طبيعية) فى الحقيبة ، وخـــارج الحقيبة ٠
(لحظة صمت) آه ، نعم ، ان الأشياء لها حياتها ،
وهذا ما أقوله دائما ، الأشياء فيها نوع من الحياة
(لحظة صـــمت) تمد نظارتى ، فهى ليست فى
حاجة الى (لحظة صمت) الجرس (صمت) انه يجرح
كأنه السكين ٠ (لحظة صمت) أو ٠٠ الازميل ٠
(لحظة صمت) وليس فى مقـــدور الانسان أن
يتجاهله ٠ (لحظة صمت) وكم من أشياء كثيرة ٠٠
(لحظة صمت) أقول ، كم من أحيان كثيرة قلت فيها،
تجاهلى الجرس يا وينى ، تجاهلى الجرس ولا تعطيه
أى اهتمام واكتفى بأن تنامى وتستيقظى ، نامى
واستيقظى كما تحبين ، وافتحى عينيك واغمضيهما
كما تحبين أو بالطريقة التى تجدين انهـــا تريحك
أكثر من غيرها (لحظة صمت) افتحى عينيـــك
واغمضيهما يا وينى ، افتحيهما واغمضيهما ، هكذا
باستمرار ٠ (لحظة صمت) ولكن ٠٠ لا ٠ (تبتسم)

ليس الآن . (وبابتسامة أوسع) لا .. لا . (تكف عن الابتسام ، وتسود لحظة صمت) وماذا الآن ؟ فترة طويلة من الصمت) هنـاك قصتى بطبيعة الحال ، عندما يعجز كل شيء آخر . (لحظة صمت) انها حياة . (تبتسم) حيـــاة طويلة (تكف عن الابتسام) تبدأ من الرحم حيث اعتادت الحياة أن تبدأ . ان « ميلدرد » لها ذكريات ، وسيكون لها ذكريات عن الرحم ، رحم الأم ، سيكون لها ذكريات قبل أن تموت وتفارق رحم الأم (لحظة صمت) انها الآن فى حوالى الرابعة أو الخامسة من العمر ، وقد أعطيت قريبا دمية من الشمع . (تسود لحظة صمت) ترتدى كامل ملابســـــها وتحمل كافة لوازمها . (تسود لحظة صمت) الأحذية ، والجوارب ، والجهاز الكامل ، والثوب ذا الأحداب ، والقفازات . (تسود لحظة صمت) وشبكة بيضاء .. (تسود لحظة صمت) وقبعة بيضاء صغيرة من القش ، لها شريط مطاطى يوضع تحت الذقن . (صمت) وعقد من اللؤلؤ . (تسود لحظة صمت) وكتاب صغير مصـــور ، به أساطير بالصور المطبوعة ، لكى تضعه تحت ذراعها عندما تقوم بنزهتها سيرا على الأقدام . (تسود لحظة صمت) وعينـــان زرقاوان من الصينى ، تفتحان وتغمضان (تسود لحظة صمت ، ثم تحكى قائلة) لم تكن الشمس قد ارتفعت تماما ، عنـــدما قامت

ميللى ، ونزلت المنحدر (لحظة صمت) ٠٠ وارتدت قميص نومها ، نزلت بمفردها كل السلم الخشبي المنحدر ، وتراجعت الى الوراء عـــلى كل أطرافها الأربعة ، مع انها منعت من عمل هذا . حتى دخلت الى ٠٠ (لحظة صمت) ٠٠ مشت على أطراف أصابعها داخل الممر الهادىء الذى يخيم عليه السكون . ثم دخلت غرفة الأطفال وبدأت فى تعرية الدمية (لحظة صمت) تسللت تحت المائدة ، وبدأت فى تعرية الدمية ٠ (لحظة صمت) ثم فى نهرها وتوبيخها ٠٠ أثناء ذلك ٠ (لحظة صمت) وفجأة ، ظهر فأر ٠٠ (فترة صمت طويلة) برفق ، يا وينى ٠ (تسود فترة صمت طـــويلة ، ثم تنادى) ويللى ! (لحظة صمت ، ثم بصوت أعلى) ويللى ! (لحظة صمت ، ثم بتوبيخ خفيف) أحيانا أرى أن سلوكك يا ويللى غريب بعض الشىء . فلم يكن يليق بك طوال هــذا الوقت ، مثل هذا السلوك العابث القاسى ٠ (لحظة صمت) غريب ؟ (لحظـة صمت) لا ٠ (تبتسم) ليس هنا (وبابتسامة أوسع) وليس الآن (تكف عن الابتسام) ومع ذلك ٠٠ (وبضيق مفاجىء) أرجو ألا يكون هناك خطأ فى شىء من الأشـــياء ٠ (تتجه بعينيها ناحية اليمين ، وبصوت عال) كل شىء على ما يرام ، يا عزيزى ؟ (تسود لحظة صمت ، ثم تتجه بعينيها الى الأمام ، وتخاطب نفســـها

قائلة) اننى أضرع الى الله ألا يكون قد دخل برأسه أولا ! (تتجه بعينيها ناحية اليمين ، وبصـــوت عال) أنت لم تنحشر ، يا ويلى ؟ (تتجه بعينيها الى الأمام ، وبضيق وضجر) ربما كان يصرخ فى طلب المساعدة طول هذا الوقت ، دون أن أسمعه ! قبل (لحظة صمت) اننى أسمع صرخات بطبيعة الحال (لحظة صمت) ولكنها فى رأسى بالتأكيد . (لحظة صمت) هل من الممكن أن .. (تسود لحظة صمت ، ثم بلهجة حاســـمة) لا .. لا ، لقد كان رأسى باستمار مملوءا بالصرخات (لحظة صمت) صرخات ضعيفة مختلطة . (لحظة صمت) تجىء .. (لحظة صمت) .. وتروح (لحظة صمت) كأنها على جناح الريح . (لحظة صمت) وهــذا ما أراه فى غاية الروعة . (لحظة صمت) انها تتلاشى . (لحظة صمت) آه ، نعم ، رحمات واسعة ، وحمات واسعة . (لحظة صمت) لقد تقدم النهار .. الآن . (تبتسم ، ثم تكف عن الابتسام) ربما لم يحن الوقت بعد لكى أغنى أغنيتى (لحظة صمت) فأنا أرى دائما أن التبكير بالغناء شىء قاتل . (لحظة صمت) ومن ناحية أخرى ، يمكننى أن أترك الغناء يتأخر كثيرا . (لحظة صمت) الجرس يدق ايذانا بالنوم ، ولما يصـــدح الانسان بالغناء . (لحظة صمت) لقد ولى النهار كله وانقضى . (تبتسم ، ثم تكف عن الابتسام)

ولى وانقضى ، ولى تماما وانقضى ، دون أن تكون هناك أغنية من أى نوع ، أو من أى صنف • (لحظة صمت) وهنا تنشأ مشكلة (لحظة صمت) هى أن الانسان لا يستطيع أن يغنى •• بهذه السهولة ، لا (لحظة صمت) فالغناء يتدفق لسبب مجهول ، وربما فى وقت غير ملائم ، فيمعنه الانسان (صمت) ويقول الآن هو وقت الغناء ، اما أن يكون الآن ، أو لن يكون أبدا ، ولكن الانسان لا يستطيع أن يغنى (لحظة صمت) ببساطة لا يســـتطيع أن يغنى • (لحظة صمت) ولا نغمة واحـــدة (لحظة صمت) وشىء آخر •• يا ويللى ، طالما أننا لازلنا فى هذا الموضوع (لحظة صمت) الحزن الذى يعقب الأغنية • (لحظة صمت) هل جربت هذا يا ويللى ؟ (لحظة صمت) الحزن الذى يعقب الجماع العاطفى ، والذى يألفه الانسان بالطبع (تسود لحظة صمت) أظنك تتفق مع أرسطو فى ذلك ، يا ويللى (لحظة صمت) نعم ، فهذا ما يعرفه الانسان ، وهو على استعداد لمواجهة أى شىء • (لحظة صمت) ولكنك بعد الأغنية •• (لحظة صمت) لا يستمر طويلا بالطبع • (لحظة صمت) وهذا ما أراه فى غاية الروعة (لحظة صمت) اذهب وانسنى ، فلماذا يلقى شىء بظله على شىء آخر • (لحظة صمت) اذهب وانسنى ، فلماذا تتألق ابتسامة الحزن والابتسامة الوضاءة •• اذهب وانسنى

.. ولا تستمع الى أبدا وأنا أبتسم بعذوبة ، وأغنى بصفاء .. (تسود لحظة صمت ، ثم بتنهيـــدة) الانسان يفقد مأثوراته الكلاسيكية (لحظة صمت) أوه ، ليس كلها . (لحظة صمت) جزء (صمت) هناك جزء يبقى . (لحظة صمت) وهذا ما أراه فى غاية الروعة ، البعض يتبقى من مأثورات الانسان الكلاسيكية ، لكى يساعده أثناء النهـــار (لحظة صمت) أوه ، نعم ، رحمات واسعة ، رحمات واسعة (لحظة صمت) والآن ؟ (لحظة صـــمت) والآن ، يا ويلى ؟ (تسود فترة صمت طويلة) اننى أرى بعين خيالى .. مستر شاور ـ أو كوكر (تغمض عينيها ، ويدق الجرس بصوت عال ، تفتح عينيها ، وتسود لحظة صمت) يدها فى يده ، وفى يديهما الأخريين حقائب (تسود لحظة صمت) يسيران معا ... فى ركب الحياة . (تسود لحظة صمت) فهما لم يعودا صغيرين ، ولم يصبحا بعد عجوزين . (لحظة صمت) وهما واقفان هناك يحدقان (لحظة صمت) لم يكن صدرها سيئا وهو فى شبابه ، هكذا يقول (لحظة صمت) لقد رأيت أكتافا أسوأ من أكتافها فى شبابى ، هكذا يقول . (لحظة صمت) هل تراها تشعر بساقيها ؟ هكذا يقول (لحظة صمت) هل هناك فى ساقيها أى نوع من الحياة ؟ هكذا يقـول (لحظة صمت) هل ترتدى شـــيئا تحت ملابسها ؟

هكذا يقول . (لحظة صمت) اسأليها ، فأنا أشعر بالخجل ، هكذا يقول . (لحظة صمت) أسألها عن ماذا ؟ هكذا تقول . (لحظة صمت) عما اذا كانت هناك في ساقيها أية حياة . (تسود لحظة صمت) وعما اذا كانت ترتدي شيئا تحت ملابسها . (تسود لحظة صمت) اسألها أنت بنفسك ، هكذا تقـول (تسود لحظة صمت ، ثم تقول بعنف مفـــاجيء) اطلق سراحي بحق المسيح ، وتسقط أنت ! (تسود لحظة صمت ، ثم تستطرد قائلة) لتسقط ميتا ! (تبتسم) ولكن .. لا . (وبابتسامة أوسع) لا .. لا .. (وتكف عن الابتسام) اني أراهما يتراجعان (لحظة صمت) يدها في يده ـ والحقائب (لحظـــة صمت) ويحل الظلام (لحظة صمت) ثم يختفيان (لحظة صمت) آخر النوع البشرى ـ الذى يهيم فى هذا الطريق . (لحظة صمت) الذى يتمشى مع الحياة العصرية (لحظة صمت) والآن ؟ (تسود لحظة صمت ، ثم تقول بصوت خفيض) النجدة . (تسود لحظة صمت ، ثم تستطرد قائلة) النجدة ، يا ويلى . (تسود لحظة صمت ، ثم تســـــتطرد قائلة) لا ؟ (تسود فترة صمت طويلة ، ثم تحـــكى قائلة) وفجـــأة ظهـــــر فأر (لحظـــــة صـــــمت) وجــــرى فـــــوق فخـــذها ، واذا بميلدرد التى سقطت منها الدميـــة ، وهى فى همس الخـــوف

والفزع ، تأخذ فى الصراخ ٠٠ (تصدر عن وينى صرخة مدوية على حين فجأة) ــ وأخذت تصرخ ٠٠ وتصرخ ــ (تصرخ وينى مرتين) ــ تصرخ وتصرخ وتصرخ وتصرخ حتى جاءوا جميعا يهرعون وهم فى ملابس النوم ٠٠ بابا وماما وبيبى و ٠٠٠ العجوزة آنى ٠٠٠ جاءوا جميعا يهرعون ليروا ماذا حدث ٠٠ (تسود لحظة صـــــمت) ٠٠ وماذا كان يمكن أن يحدث ٠٠ (تسود لحظة صمت) ولكن بعد فوات الأوان (لحظة صمت) بعـــد فوات الأوان (فترة صمت طويلة ، ثم بصوت يكاد يسمع) ويللى ٠ (تسود لحظة صمت ، ثم بنبرة طبيعيـــــة) آه ، لا بأس ، فلن يطول الوقت الآن ، يا وينى . لايمكن أن يطـــول الوقت الآن ، حتى يرن الجرس ايذانا بالنوم ٠ (لحظة صمت) وعندئذ يمكنك أن تغمض عينيك ، عندئذ « لابد » أن تغمض عينيك ــ وأن تبقى عليهما مغمضتين ٠ (تسود لحظة صمت) لماذا أقول ذلك مرة ثانية ؟ (تسود لحظة صمت) كنت أظن ــ (لحظة صمت) أقول ، اننى كنت أظن ، أنه ليس هناك فارق كبير بين الكسر الواحد من الثانية ، والكسر الآخر الذى يليه ٠٠ (لحظة صمت) كنت أقول ٠٠ (لحظة صمت) أقول اننى كنت أقول ، انك يا وينى لن تتغيرى أبدا ، فليس هناك أى فارق على الاطلاق بين الكسر الواحد من الثانية والكسر

الآخر الذى يليه . (لحظة صمت) لماذا أثير هـذا الموضوع مرة ثانية ؟ (لحظة صمت) هناك القليل مما يستطيع الانسان أن يثيره ، فالانسان يثير كل الموضوعات (صمت) كل ما يستطيع أن يثيره من موضوعات . (لحظة صمت) رقبتى تؤلمنى ! (تسود لحظة صمت ، ثم بعنف مفاجىء) رقبتى تؤلمنى ! (لحظة صمت) آه ، هذا أفضـــل ! (وباســتثارة خفيفة) كل شىء فى حدود العقل . (تسود فترة صمت طويلة) لا أستطيع أن أعمل أكثر من ذلك . (لحظة صمت) ولا أقول أكثر من ذلك . (لحظة صمت) ولكن ينبغى على أن أقول أكثر من ذلك . (لحظة صمت) وهنا تنشأ المشكلة . (لحظة صمت) لا ، شىء ما لابد أن يتحرك ، فى العالم ، ولكننى لا أستطيع أن أقول أكثر من ذلك (لحظة صمت) رياح الغرب . (لحظة صمت) نسمة الحياة . (لحظة صمت) ما هى تلك الأبيات الخالدة ؟ (لحظة صمت) لابد أنها الظلام الأبدى . (لحظة صمت) ليل حالك بلا نهاية . (لحظة صمت) مجرد صـــدفة ، فى تقديرى ، مجرد صدفة سعيدة . (لحظة صمت) أوه ، نعم ، رحمات واسعة . (تسود فترة صمت طويلة) والآن ؟ (لحظة صمت) والآن يا ويلى ؟ (تسود فترة صمت طويلة) فى ذلك اليوم . (لحظة صمت) حيث الشراب الفـــوار ، الوردى اللون .

(لحظة صمت) والأكواب المزخرفة . (لحظة صمت)
ورحيل الضيف الأخير . (لحظة صمت) والكأس
الأخيرة المترعة ، وجسدانا يتلامسان تقريبا (لحظة
صمت) والنظرة (صمت طويل) أي يوم ؟ (صمت
طويل) وأي نظرة ؟ (تسود فترة صمت طويلة)
انني أسمع صيحات (لحظة صمت) غني (لحظة
صمت) غن أغنيتك القديمة يا ويني . (تسود فترة
طويلة من الصمت ، وفجأة يعلوها تعبير اليقظة ،
ثم تحول عينيها ناحية اليمين . تظهر رأس ويلي ،
عن يمينها ناحية الربوة ، يرى جاثيا على كل أطرافه
الأربعة ، مرتديا أبهى ملابسه - القبعة المدببة ،
ومعطف الصباح ، والبنطلون المخطط ، وفي يده
قفاز أبيض ، كما يرى له شارب كثيف طويل جدا ،
يطلقون عليه اسم « معركة بريطانيا » ، يشب ،
ويرنو ببصره الى الأمام ، ويتحسس شاربه ، يبزغ
تماما من وراء الربوة ، ويتجه الى يساره ، يشب
ويطل على كل أطرافه الأربعة تجاه الوسط ، يشب
ويدير رأسه الى الأمام ، ويرنو ببصره الى الأمام ،
يبرم شاربه ويسوى رباط العنق ، ويعدل القبعة ،
ويتقدم أكثر قليلا ، يشب ثم يخلع القبعة ، ويطل
على ويني ، وهو الآن ليس بعيدا عن منطقة الوسط ،
وداخل مجال الرؤية بالنسبة لها ، وهو اذ لا يقدر
على بذل الجهد لكي يظل ناظرا الى أعلى ، يدلي برأسه
تجاه الأرض) .

ويني : (بابتهاج) آوه ، يالها من سعادة غير متوقعـــة !
(تسود لحظة صمت) انها تذكرني باليوم الذى جئتنى
فيه تبكى طالبا يدى • (تسود لحظة صمت) اننى
أعبدك يا وينى ، فكونى لى • (يطل عليها) اننى
كالأضـــحوكة بدون « رنين » (تنفجر فى قهقهة
ياالهيئتك ! انك تبدو حسن المنظر ! (تقهقه) أين
هى الزهور ؟ (تسود لحظة صمت) وابتسامة ذلك
اليوم ؟ (يدلى ويللى برأسه) ما هذا الذى فوق
رقبتك ؟ مرض الحمرة ؟ (تسود لحظة صمت) ينبغى
أن تهتم بذلك يا ويللى قبل أن يتمكن منك • (تسود
لحظة صمت) أين كنت طول هذا الوقت ؟ (لحظة
صمت) وما الذى كنت تعمله طول هذا الوقت ؟
(لحظة صمت) هل كنت تغير ملابسك ؟ (لحظة
صمت) ألم تسمعنى أصرخ وأنا أنادى عليـــك ؟
(لحظـة صـــمت) أم تراك انحشرت فى جحــرك
(لحظة صمت ، ثم يطل عليها) هذا صحيح يا ويللى ،
هيا أنظر الى (تسود لحظة صمت) وتقع عينيـــك
الباليتين ، يا ويللى • (تسود لحظة صمت) ترى
هل يتبقى أى شىء ؟ (صـــــمت) أية متبقيات ؟
(تسود لحظة صمت) لا ؟ (تسود لحظة صمت) لم
يكن فى استطاعتى كما تعلم ، أن أهتم بهذا الأمر •
(يدلى برأسه) مازال فى الامكان التعرف عليك ،
على أية حال • (تسود لحظة صمت) هل تفـــكر

الآن فى أن تأتى لتعيش فى هذه الناحية ، ربما لفترة من الوقت ؟ (تسود لحظة صمت) لا ؟ (تســود لحظة صمت) هل هى مجرد زيارة قصيرة ؟ (تسود لحظة صمت) هل أصبت بالصمم يا ويلى ؟ (تسود لحظة صمت) والبكم ؟ (تسود لحظة صمت) أوه ، أعرف انك لم تكن أبدا الانسان الذى يتكلم ، انى أعبدك يا وينى ، فكونى لى ، من اليوم فصاعدا ، لا شىء سوى شذرات « رينولاز نيوز » • (تتجه بعينيها الى الأمام ، وتسود لحظة صــــمت) آه ، لا بأس ، فماذا يهم ؟ هذا ما أقوله دائما ، سيكون هذا اليوم يوما سعيدا مضى، على أية حال، يوم سعيد آخر • (تسود لحظة صمت) لن يطول الوقت الآن ، يا وينى (تسود لحظة صمت) اننى أسمع صرخات • (تسود لحظة صمت) هل تســـمع أى صرخات ، يا ويلى ؟ (تسود لحظة صمت) لا ؟ (تعود بعينيها ناحية ويلى) ويلى • (تسود لحظة صمت) أنظر الى ثانية يا ويلى • (تسود لحظة صمت) مرة أخرى يا ويلى • (يطل عليها ، فتقول بســـعادة) آه ! (تسود لحظة صمت ، ثم بذعر وفجيعة) ما الذى يؤلمك يا ويلى ؟ اننى لم أر على وجهك أبدا مثل هذا التعبير ! (تسود لحظة صمت) البس قبعتك ياعزيزى فانها الشمس ، ولا تقم بيننا الكلفة ، فهذا أمر لا يهمنى • (يخلع القبعة والقفاز ، ويشرع فى

الزحف الى أعلى الربوة ، متجها نحوها فتقول بسرور وطرب) أوه ، أقول ان هذا شيء هائل ! يشب ، ثم يتعلق بالربوة باحدى يديه ، ليصل اليها باليد الأخرى) تعال يا عزيزى ، وسأدخل عليك السرور ٠
(تسود لحظة صمت) هل هى أنا التى تسعى اليها ، يا ويللى ٠٠ أم هى شيء آخر (تسود لحظة صمت) هل تريد أن تلمس وجهى مرة ثانية ؟ (تسود لحظة صمت) هل هى قبلة تلك التى تسعى اليهـــا يا ويللى ٠٠ أم هى شيء آخر ؟ (تسود لحظة صمت) كان ذلك منذ وقت مضى ، عندما كنت قادرة على أن أساعدك ٠ (تسود لحظة صمت) ثم مضى على ذلك وقت آخر ، كنت أســتطيع أن أساعدك فيه ٠
(تسود لحظة صمت) لقد كنت دائما فى أشد الحاجة الى المساعدة يا ويللى (ينزلق راجعا الى أسفل الى سفح الربوة ، ويستلقى بوجهه على الأرض) بررررم !
(تسود لحظة صمت ، ثم ينهض على يديه وركبتيه ، ويرفع وجهه تجاه وينى) حاول مرة أخرى يا ويللى ، وسأدخل عليك السرور ٠ (تسود لحظة صمت) لا تنظر الى هكذا ! (تسود لحظة صمت ، ثم تقول بعنف) لا تنظر الى هكذا ! (تسود لحظة صمت ، ثم تقول بصوت خفيض) هل فقدت صوابك ياويللى ؟
(لحظة صمت) هل فقدت صوابك القديم ، يا ويللى ؟
(تسود لحظة صمت) ٠

ويلى : (بصوت يكاد يسمع) وينى !

(تسود لحظة صمت ، تتجه وينى بعينيها الى الأمام ، يبدو عليها تعبير السعادة ، ويأخذ فى الازدياد) .

وينى : وين ! (تسود لحظة صمت) أوه ، ان هذا اليوم ليوم سعيد ، سيكون هذا اليوم يوما سعيدا مضى !

(تسود لحظة صمت) فى النهاية . (تسود لحظة صمت) حتى هذه اللحظة .

(تسود لحظة صمت ، ثم تدندن على سبيل التجربة ، مترنمة بمطلع أغنية من الأغانى ، وبعد ذلك تغنى برقة ونعـومة على أنغام لحن من ألحان صـــندوق الموسيقا) :

مع أنى قلت لا

لما قد لا

تسمعه يا صديقى ،

فقد أخذت أنوح

وأخذ الرقص يبوح

أحبنى يا رفيقى !

كل لمسة اصبع .. منك

تقول لى ما أعرف عنك

وتقول لك ،

هل صحيح •• هل صحيح ••

أنك تحبنى يا حبيبى

(تسود لحظة صمت ، ثم تدنا ن السعادة ، وتغمض عينيها ، يرن الجرس ال ، فتفتح عينيها ، ثم تبتسم ، وترنو ببصرها الى الأمام ، تدير عينيها ، وهى لا تزال تبتسم الى ويللى ، الذى يظل جاثيا على يديه وركبتيه وهو يطل عليها ، تكف وينى عن الابتسام ، وينظر كلاهما الى الآخر ، ثم تسود فترة صمت طويلة •• بعدها) •

يسدل الستار

« انتهت »